
من عظات أبونا القمص لوقا سيداروس
أسـرار القداسـة
فى حياة القديس البابا كيرلس السادس



أسرار القداسـة

فى حيـاة القديس البابا كيرلس السادس

من عظات أبونا القمص لوقا سـيداروس

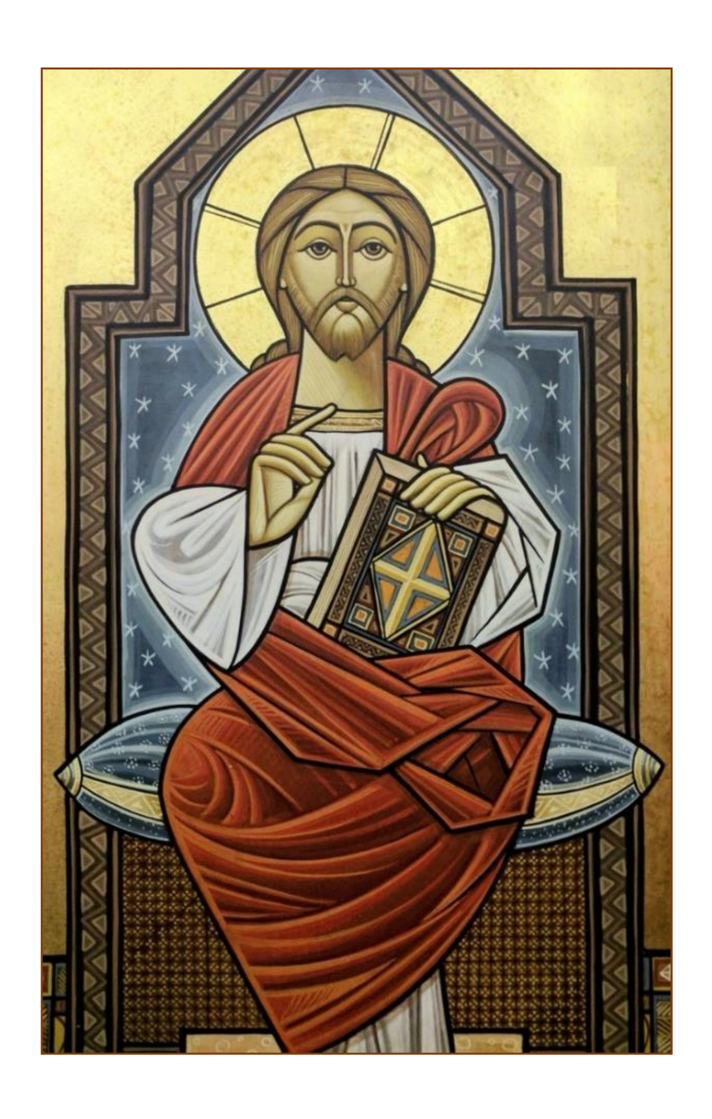
الكتاب: أسرار القداسة فى حياة القديس البابا كيرلس السادس

المصدر: من عظات أبونا المتنيح القمص لوقا سيداروس

إعداد: كنيسة السيدة العذراء ومارمينا بسيدنى ـ أستراليا

الطبعة: الأولى ـ مارس ٢٠٢٢

الناشر: كنيسة مارجرجس باسبورتنج ـ الإسكندرية






ⲀⲂⲂⲀ ⲔⲨⲢⲒⲖⲖⲞⲤ
ⲀⲂⲂⲀ ⲘⲎⲚⲀ



قداسة البابا تواضروس الثانى البطريرك ١١٨



يوم سيامة أبونا لوقا سيداروس بيد البابا كيرلس فى ١٧ مارس ١٩٦٧



باسم اللـه القوى

مقدمـة

"بل نظير القدوس الذى دعاكم، كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة. لأنـه مكتوب: كونوا قديسين لأنـى أنا قدوس." (١بط ١: ١٥، ١٦)

سمعنا كثيراً عن معجزات البابا كيرلس السادس. وقرأنا الكثير عن حياته وفضائله المتعددة ومواهبه الفائقة. وقد تمتع الكثيرون بأبوته سواء فى حياته أو بعد نياحته، فكانت صلواته سنداً لهم فى وقت الاحتياج، ومعونة فى أوقات الضيق.

كشف لنا أبونا المتنيح القمص لوقا سيداروس، الذى حظى بدالة خاصة لدى البابا كيرلس، عن بعض أسرار قداسته، التى عاينها فى اختبارات شخصية ومواقف حياتية. فقد عاشا بقيادة نفس الروح الواحد، وارتبطا بمحبة خالصة فى صداقة روحية فريدة، توطدت واستمرت حتى بعد نياحة القديس البابا كيرلس.

لكل نفس أحبت المخلص من كل القلب، وتسعى فى طريق الروح، وتجاهد لأجل حياة القداسة فى العالم، تقدم كنيسة السيدة العذراء مريم ومارمينا بسيدنى بعض من عظات أبينا الحبيب القمص لوقا سيداروس بعد تنسيقها، تناول فيها الكثير من أسرار القداسة فى حياة البابا كيرلس، لتكون منهجاً روحياً ومثالاً يُحتذى فى طريق القداسة والكمال إلى قياس قامة ملء المسيح.

نطلب من إلهنا الصالح أن يكون هذا العمل سبب منفعة لكثيرين، بشفاعة وصلوات السيدة العذراء مريم، والشهيد العظيم مارجرجس، والشهيد أبى سيفين، والشهيد مارمينا العجايبى، والقديس الأنبا ابرآم، والقديس البابا كيرلس السادس، وأبينا الحبيب القمص لوقا سيداروس.

كنيسة السيدة العذراء مريم ومارمينا

سيدنى ـ استراليا

٣٠ أمشير ١٧٣٨ ـ ٩ مارس ٢٠٢٢



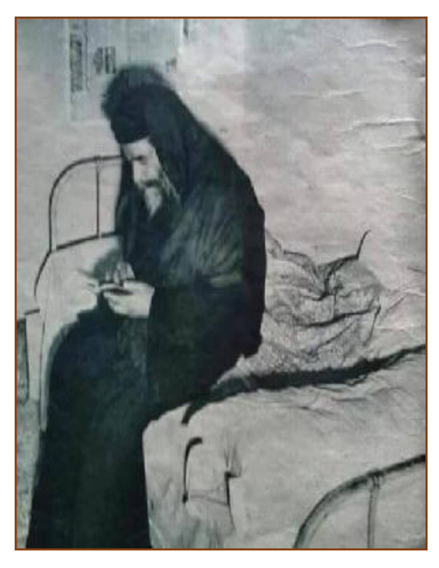
١- ســر القداسـة

مضت الأيام سريعاً منذ انتقال البابا كيرلس إلى حضن المسيح. إلا أن مرور الوقت لا يُنسينا القديسين. فالقديسون ليسوا محصورين فى فترة أيام حياتهم على الأرض. كثيرون لم يعاصروا أو يروا البابا كيرلس فى حياته، شأنه فى ذلك شأن القديسين الذين لم نَرَهم، وهم أكثر بكثير جداً ممن رأيناهم. وهذا أمر طبيعى، لأن الكنيسة لها أكثر من عشرين قرناً من الزمان تذخر بالقديسين. لم تعدم الكنيسة يوماً وجودهم. وقد أصبحت سيرهم وحياتهم غنى للكنيسة، التى تشبه خزانة كبيرة جداً، محفوظ بها خيرات جميع القديسين.

كُتب عن البابا كيرلس الكثير مما رآه الناس وشهدوا عليه. والمعجزات التى تمت على يديه فى حياته وبعد انتقاله للسماء لا حصر لها فعلياً. لذلك يُركز الناس على سرد المعجزات، ولا ينتبهون إلى أصل الحياة. يعتقدون أن القداسة فى عمل الآيات والمعجزات فقط، ولايدركون أن الذى يصل بالإنسان إلى الترقى فى الحياة الروحية، هى حياته فى المسيح، من جهاد وسهر ونُسك شديد وصلوات وأصوام قاسية وضبط للجسد

والجدية فى الحياة الروحية. والبابا كيرلس لم يكن متراخياً، إذ كان يتسم بالجدية منذ شبابه المبكر، وعاش حتى نياحته نفس الحياة بنفس الطقس ونفس المنهج، زاهداً فى الدنيا وكل مجد الناس. وبينما نحن كثيراً ما تُعذبنا تلك الآفة، ويعطلنا أن ننشغل بآراء الناس، لم يكن هذا الأمر يعنى البابا كيرلس على الإطلاق. لأنه داس كل مجد العالم مستهيناً بكل ما فيه، ومكتفياً بأقل القليل الذى يكفى لستره.

البابا الزاهد



فى يوم نياحته سافرنا من الاسكندرية إلى القاهرة، وكنا حوله نُلبِسَهُ ملابس الكهنوت، كى نُجلسه على كرسى مارمرقس. خلعنا عنه الروب الأسود الخارجى. كان يرتدى من تحته ملابس الفقراء. كان يلبس جلباباً بسيطاً من قماش "الزُفير"، وهو قماش رخيص جداً لا يتعدى ثمنه بضعة قروش. وكان منديله الخاص "منديل محلاوى"، ثمنه ثلاثة ملاليم. أما حذاؤه البالى الذى كان يرتديه، لا يرضى به متسول. فهو لم يُغَيره

طيلة مدة حبريته على مدى إثنى عشر عاماً، بالرغم من أنه تقادم وتهرَّأ. كذلك فراشه لم يكن وثيراً كما يليق ببطريرك الكنيسة، بل كان بسيطاً جداً كما لفقير. كانت قلايته معدمة، وهى حجرة بسيطة وفقيرة جداً لا تحوى شيئاً ذا قيمة. فلم يكن للبابا طلبات أو احتياجات شخصية من الله بحسب الأمور المادية من مأكل ومشرب على الإطلاق.

ومن العجيب أنه كان فى البطريركية سيارة قديمة تخص البابا يوساب، ظلت بعد نياحته بلا استخدام مدة ثلاث سنوات ونصف، كان فيها الكرسى المرقسى خالياً، إلى أن اعتلاه البابا كيرلس، فاستخدم هذه السيارة القديمة، وظل يستعملها حتى وقت نياحته. كان البابا كيرلس متجرداً، زاهداً، بلا طلبات، لا يرجو شيئاً من حطام الدنيا على الإطلاق. لم يكن له شهوة ولا غرض فى كل ما فى العالم ولم يكن يبغى شيئاً من حطامه. ومع ذلك كان البابا كيرلس غنياً جداً يفيض من غناه على من حوله. وكان قادراً على تلبية احتياجات الناس بعد أن عجزوا عن الحصول عليها بكل وسيلة. فما أكثر آيات الشفاء لمرضى أصابهم اليأس بعد أن لجأوا للأطباء والمستشفيات. وما أكثر من لاذوا إليه فى ضيقات وشدائد، فتحنن الله وفرج كربهم بصلواته. لذلك فقد كان غنياً يعطى الآخرين بنعمة خاصة من الله، كانت هى مصدر غِناه الحقيقى.

سر القداسة

كان البابا كيرلس أب لنا بحق. فقد عشنا معه وعاش بيننا منذ أربعين عاماً فقط. جلسنا معه وتحدثنا إليه، وضع يده علينا واقتربنا منه. أما السر وراء بلوغه القداسة، فهو سر تقديس النفس والالتصاق بالله التصاقاً حقيقياً. نحن نمجد فضائل البابا كيرلس الكثيرة بالتأكيد، وخاصة حياة الصلاة، التى يجدر بنا أن نحيا على مثالها ونتعلم كيف نصلى. وأيضاً عاش البابا كيرلس باتضاع شديد جداً حتى التراب، بينما يجتهد الناس جداً فى الاهتمام بالذات وتلميع الأنا. صدقونى إن مجد المسيحيين فى الاتضاع. فكلما يضع الإنسان ذاته ويتضع أمام الله، كلما استطاع أن يصلى.

طبعاً لكل انسان رتبة. ونحن لن نصل إلى ما وصل اليه البابا كيرلس. لكن دعونا على الأقل نتذوق طعم الصلاة، طعم السهر، جلسة ولو قصيرة مع الرب لنختبر لذة الاتصال بالله. ليس شرطاً أن نصنع معجزات، فهذه مواهب خاصة جداً يعطيها الله للبعض، ممن لهم القدرة على الاحتمال لئلا يُصابوا بالكبرياء، وذلك من أجل إظهار مجد المسيح. لا يجب أن يعنينا أمر المعجزات على الإطلاق، لأنه ليس شرطاً أن

يصحب حياة القداسة عمل المعجزات. حياة القداسة هى أن يشعر الإنسان أنه فعلاً قريب من الله، وأنه يعيش فى المسيح يسوع.

بابا الشعب

كان باب الأنبا كيرلس السادس مفتوحاً لجميع الناس. وكان للغلابة من الفقراء والضعفاء النصيب الأكبر فى اهتمامه، فهم أحباؤه بالأكثر. هذا الأمر لم يكن مألوفاً عند من سبقوه من البطاركة. ففى أثناء حبرية البابا يوساب لم يكن مسموحاً لأحد من الشعب أن يقابل البابا، وكان البابا ينزل إلى الكنيسة فى المناسبات والأعياد فقط ليصلى قداس العيد. هذا كان النظام المعمول به والعُرف السائد بين البطاركة. أما البابا كيرلس فلم يتبع نهج من سلفه من الباباوات ولم تعنيه الأنظمة والبروتوكولات، بل استمر يعيش فى بساطته المعهودة، نفس الحياة التى كان يعيشها قبل تجليسه.

عندما أصبح بابا الكرازة ومسئولاً عن الكنيسة، كانت المسئولية ضخمة جداً مُفعمة بالمشاكل من خارج مع الدولة، ومن داخل بسبب متاعب أولاده ومشاكل الإيبارشيات والمطارنة. وكان الناس يترقبون البطريرك الجديد ليعرفوا أسلوبه. وقد كان من دواعى العجب جداً أنه فى اليوم التالى لرسامته بطريركاً، نزل إلى الكنيسة فى الرابعة فجراً لعمل التسبحة،

ثم تلاها برفع بخور باكر وصلاة القداس. وفى نفس اليوم بعد الظهر، نزل مرة أخرى ورفع بخور عشية. كل هذا ولم يمضِ على تجليسه يوماً واحداً. وهكذا فى اليوم الذى يليه، صنع نفس الطقوس بلا أى إختلاف.

وكان يفتح بابه لاستقبال الزائرين بعد القداس وبعد الظهر وفى المساء، فالتفت حوله الجموع وكانت الطوابير تصطف أمام بابه يطلبون بركته. وعندما بدأ فى زيارة الكنائس، كان الازدحام شديداً جداً. ألوف عجيبة جداً يتزاحمون إلتماساً لرؤيته والتبرك منه، بالرغم من أنه لم يكن مشهوراً ولم تكن سيرته معروفة عند الناس. لكنها كانت حركة من الله الذى منحه نعمة خاصة وشعبية هائلة وهو لا يزال فى البدايات. لا أدرى كيف كان يتحصل على الوقت، فقد غطت كمية الصلاة الحياة بأكملها، الليل والنهار ونصف الليل. وكان من تأثير ذلك على الكنيسة أن خلق روح صلاة، وأحب الناس الصلاة وشعروا بفاعليتها.

رجل الصلاة

استمر البابا كيرلس يبدأ يومه فى نفس الوقت كل يوم دون كلل أو ملل. كان برنامج حياته اليومى وسط كل الأعباء والمسئوليات يبدأ مع دقات الساعة الرابعة فجراً حين ينزل إلى الكنيسة ليصلى التسبحة. لا يهتم لعدم وجود مصلين أو لكونه البطريرك، ويظل واقفاً حتى نهاية التسبحة

نحو الساعة السادسة والنصف أو السابعة صباحاً، ليبدأ بعدها رفع بخور باكر ويليه القداس ثم يستقبل الشعب. وكان يعتكف قليلاً وقت العصر، ثم ينزل مرة أخرى فى الخامسة بعد الظهر ليصلى تسبحة العشية والعشية وتسبحة نصف الليل. فكان يومه ينتهى قبل منتصف الليل. وكأنه فى وردية عمل لا تتوقف.

قال لى البابا كيرلس فى إحدى المرات: "يا بنى المطارنة بيقولوا لى أنت قليت قيمتنا!" وذلك لأن الكهنة كانوا يقيمون الصلوات طيلة العام، أما دخول المطران إلى الكنيسة فكان يُعد حدثاً فريداً ومنظراً جلل، تُعمل له الترتيبات المسبقة ومراسم الاستقبال. فكان عجيباً أن يرى الناس البابا فى الكنيسة نهاراً وليلاً، حتى إستاء بعض الناس من الإكليروس فى ذلك الحين، وقالوا نحن لا نريد عريفاً أو معلماً يصلى ويسبح فى الكنيسة طوال النهار والليل. نريد بطريركاً كما نعرف البطاركة.

كان عجيباً أن يجد الناس البابا يعيش كما اعتاد فى الماضى، لم يتغير حتى النهاية، لأن حياته كانت حقيقية بلا زيف. كان محباً للمذبح، يعرف معناه ويدخل إليه بمهابة كما يليق، يدرك قيمته وقيمة الذبيحة الموضوعة عليه. فكان يسكب نفسه أمام الله، أمام المسيح الحاضر على المذبح والذى يُحبه من كل القلب. لقد اختبر البابا كيرلس قوة الذبيحة، وتعلم

أن يأخذ من المذبح بدالة وإيمان لحل جميع المشاكل مهما عظم شأنها. لذلك علينا أن نتعلم كيف ندخل بيت الله بكل مهابة، ونصلى القداس بكل مشاعرنا وكامل تركيزنا. ندرك ونثق فى قوة المذبح، فلا نرتاع ونضطرب عندما تواجهنا المشكلات أو تمر بنا أو ببلادنا أحداث مزعجة.

ليفتح الله عيوننا لنأخذ كلُ على قدر طاقته من حياة الصلاة، وحياة التسبيح، وحياة التقديس، وحياة الجد، وحياة الإتضاع، وحياة العطف على الصغير، وغيرها من فضائل البابا كيرلس الجميلة. يعطينا الله نعمة، وتحل بركة البابا كيرلس علينا، لنفتح أعيننا ونأخذ ولو القليل من فضائله. وتذكروا أن الوقت مقصر. لا تتوانى ولا تؤجل أبداً إلى الغد، فالعمر يجرى ونحن لا ندرى ما تحمله لنا الأيام، وإن كانت ستسمح لنا غداً بإنجاز ما قصرنا فيه بالأمس.

البابا كيرلس له نصيب كبير جداً فى الكنيسة التى نحن فيها الآن، ففى اليوم المحدد للتفاوض مع المالك القديم "زعفر حسن على" لشراء الكنيسة، ذهبت إليه وأنا أحمل فى جيبى طاقية البابا كيرلس. أما يوم فتح حساب الضمان "الاسكرو"، فقد توافق مع عيد نياحته فى التاسع من مارس. لذلك فإن البابا له فضل كبير فى وجود هذه الكنيسة، ونثق أنه سيكمل

عمله معنا لأن محبته وشفاعته كبيرة جداً فى وسطنا. ربنا يعطينا بركة شفاعته وصلواته من أجلنا. ولربنا المجد دائماً أبدياً آمين.



البابا كيرلس مع أحد الأسود بحديقة قصر الامبراطور هيلاسلاسى أثناء زيارته لأثيوبيا فى أكتوبر ١٩٦٠



٢- ثمار الصـــلاة

كلام المسيح له المجد كلام حق، فالسماء والأرض تزولان، ولكن كلامه لا يزول. ومواعيد المسيح صادقة وأمينة وبلا ندامة. وعد المسيح أن "كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ حِينَمَا تُصَلُّونَ فَآمِنُوا أَنْ تَنَالُوهُ فَيَكُونَ لَكُمْ"، هو وعد صادق. لذلك فإن الصلاة اقتدار، لأن "طِلْبَةُ الْبَارِّ تَقْتَدِرُ كَثِيراً فِى فِعْلِهَا". فهى تفتح أمام الإنسان باب السماء. ما أكثر الوعظ عن الصلاة، أما أن يختبر الإنسان حياة الصلاة فهذا أمر مختلف تماماً. نحن نعيش فى أيام تتسم بكثرة المعرفة وغزارة المعلومات، ولكن من تدبير الله لهذا الجيل الذى عشناه، أننا رأينا نموذجاً حقيقياً فى كيفية أن يعيش الإنسان حياة الصلاة وينال مواعيد الله.

نحن نحتفل اليوم بعيد نياحة البابا كيرلس السادس، الذى نعتبره وسيلة الإيضاح التى أرسلها الله لهذا الجيل كى يتعرف الناس بها على ماهية الصلاة. يحكى الناس كثيراً جداً عن البابا كيرلس وعن حياته ومعجزاته دون أن يعيشوا. يسردون الحكايات فقط للتسلية. لكن فى واقع الأمر أن الإنسان إذا اختبر حياة الصلاة التى هى الشركة مع الله، وبدأ يتذوق

طعم الصلة الحقيقية بالله، تتغير الحياة بالنسبة له. رأينا كيف كان البابا كيرلس يعتمد اعتماداً كلياً فى كل تفاصيل الحياة على الصلاة. ولأنه رجل كنسى بالدرجة الأولى، كانت الصلاة بالنسبة له هى المذبح الذى اعتاد أن يطرح عليه نفسه وطلباته. وفى الحقيقة لم يكن للبابا يوماً طلبة خاصة، فلم يكن يبغى شيئاً من هذا العالم، بل كانت كل تضرعاته من أجل الكنيسة وطلبات أولاده.

مثل الصلاة الحقيقية

حين تسلم البابا كيرلس مسئولية الكنيسة، واجهته أياماً صعبة ومضايقات من داخل ومن خارج، فكان المذبح ملجأً له. كان يسكب نفسه سكيباً أمام الله. لم تكن الطقوس والصلوات عند البابا كيرلس مظهراً للعبادة، بل دخولاً حقيقياً إلى الله. ومن المعروف أن كنيستنا القبطية هى كنيسة طقس، ونظراً لأن طقسها كبير جداً، وغنى بالتسابيح الكثيرة، فإن وقت الصلاة يمتد إلى ساعات طويلة جداً. ولكننا تعودنا أن نمارس الصلاة كمظهر، أخذنا شكل الصلاة، أما عمق الصلاة فهو أمر مختلف تماماً. كان البابا ينسكب أثناء الصلاة فى القداسات التى وصل عددها إلى نحو ثلاثة عشر ألف قداس صلاها فى حياته. فقد ظل لسنين طويلة منذ

شبابه المبكر وحتى نهاية حياته يصلى قداساً كل يوم. آلاف القداسات دخل بها إلى عمق الشركة والعلاقة مع الله.

وبينما نحن كثيراً ما يصيبنا الفتور، ونفقد إحساسنا بالصلوات التى نكثر ترديدها بلا وعى، كالصلاة الربانية التى حفظناها منذ الطفولة، كان البابا يحفظ القداس عن ظهر قلب، لم يكن يضع كتاباً على المذبح ولم يكن يلزمه النظر فى كتاب من كتب الكنيسة. كان يحفظ كل الإبصلمودية غيباً بكل ما فيها من التسابيح والمدائح، حتى الطويلة منها. كما كان يحفظ القداسات الثلاثة وجميع الحان الكنيسة، ومع ذلك لم يعرف الروتين طريقاً إلى حياته الروحية، بل ظل لآخر أيام حياته يصلى القداس بنفس القلب الحى والدموع المسكوبة والتنهدات كإنسان ينصهر. إنها الصلاة الحقيقية، فلا عجب فى أنه كان ينال من الله كل ما يسأله فى الصلاة، كوعد المسيح "كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ حِينَمَا تُصَلُّونَ فَآمِنُوا أَنْ تَنَالُوهُ فَيَكُونَ لَكُمْ".

كان من نِعم الله على الجيل الذى عشناه أن رأينا نموذجاً يجسد حقيقة الصلاة. فما أكثر الوعظ والكلام عن الصلاة، وما أكثر ما كُتب عنها، حتى أصبحت الحاجة مُلحة لرؤية مثل حى لحياة الصلاة الحقيقية. كان للبابا كيرلس طقسه وحياته ونسكه وعبادته، فهو رجل متوحد فى الجبال،

وقد وصل إلى أعلى القامات الروحية، وعمق الشركة الروحية مع الله، بعد أن قضى سنين عمره الطويلة فى أسهار بلا عدد وأصوام بلا حدود.

ونحن كلٌّ بقدر طاقته، عليك ان تُقَيّم علاقتك بالصلاة لتعرف هل لك نصيب من الصلاة! هل دخلت إلى العمق وتذوقت حلاوة الصلاة! هل اختبرت الصلاة التى تدخل بها إلى حضرة الله، وصار لك نصيب فى الشركة الحقيقية مع المسيح والإحساس الحقيقى بحضوره وأنت تتحدث إليه! من أقوال القديس يوحنا فم الذهب: "إذا لاحظت أن إنساناً لا يحب الصلاة، فاعلم أن ليس فيه شئ صالح البتة. فالذى لا يصلى، ميت لا حياة فيه". أى أنه إذا كان الإنسان خالياً من الصلاة، فهو خالٍ من كل صلاح، ذلك لأنه بدون حياة الصلاة، يكون قد فصل نفسه عن مصدر الصلاح وكل فضيلة.

حروب ضد الصلاة

حروب كثيرة قائمة ضد الصلاة، فالشيطان يكره جداً أن يجد إنساناً يقف للصلاة. لذلك يشن حروباً كثيرة جداً منها الشعور بالكسل، وتشتت الفكر، والملل، الأتعاب والأمراض، وغيرها من المعاكسات الأخرى التى تهاجم الإنسان بمجرد وقوفه للصلاة. أكثر شئ حورب به البابا كيرلس فى بداية حبريته، كانت شكاوى الناس عليه من داخل الكنيسة، من الأساقفة

والكهنة والعلمانيين. قالوا نريد بطريركاً، لا عريفاً يصلى ويسبح نهاراً وليلاً. يقضى يومه ما بين التسابيح والصلوات. كانوا يدَّعون أنه لا يصلح لإدارة الكنيسة بشكل مشرف، وأن الكنيسة فى حاجة إلى بطريرك آخر له هيبة أمام الرئيس ورجالات الدولة، يكون مؤهلاً لحل المشكلات ورعاية الكنيسة وحقوق ومصالح الأقباط. ومن العجب أن تقوم ضده كل هذه الشكاوى بسبب الصلاة، حتى أن بعض الأساقفة نادوا بعمل مجلس بطريركى لعزله. وذلك بأن ينتخبوا عدداً من الأساقفة ليقوموا بأعمال البطريرك ويعزلوه بسبب عدم صلاحيته، التى أرجعوها لكثرة صلواته.

فإذا كان البابا صاحب تلك القامة الروحية قد عانى من مثل هذه الحروب، فكم بالحرى يكون حالنا نحن الضعفاء! إن الشيطان يهيج ويقف ضد الإنسان بمجرد أن يبدأ حياة الصلاة. لكن لو كان الإنسان أميناً لإلهه تبطل جميع الحروب. حين كان البابا كيرلس يصلى ولا يتحدث مع أحد سوى الله، هاجت الدنيا من حوله. أما الذين قاوموه وافتروا عليه فقد انتهوا نهايات سيئة وصعبة جداً جداً. كان أحدهم يعانى من دور برد، فتناول زجاجة كانت بجانب فراشه، وشرب منها معتقداً أنها زجاجة الدواء، فمات فى الحال لأنها كانت تحتوى على مبيد سام.

اغفروا أولاً

استمر البابا كيرلس فى حياة الصلاة وكان شفوقاً جداً على جميع الناس حتى المسيئين إليه، واضعاً نصب عينيه كلام المسيح له المجد "مَتَى وَقَفْتُمْ تُصَلُّونَ فَاغْفِرُوا". إعلم هذا أنك إذا أردت الدخول الحقيقى إلى الله، فإن أول طلبة تطلبها من الله هى الغفران والسماح من أجل المسيئين. هذه هى البداية والمدخل الحقيقى للصلاة.

ولكن كما قلت لك فإن حياة القديسين لا تخلو من التجارب. على العكس فإن الشيطان يهيج بالأكثر. وقد حدث بالفعل أن الشيطان إغتاظ وأهاج الناس على البابا فى فترة ترشيحه للبطريركية. اتهموه بالشعوذة وأعمال السحر والدجل. واشترك الكثيرون فى ترويج هذه الشائعات، وقاموا بطبع المنشورات وتوزيعها. وكان من ضمن مهاجميه الذين ساهموا فى كتابة ونشر هذه الافتراءات الباطلة، أحد كبار المحامين، وكان عضواً فى المجلس الملى بالإسكندرية. إنتقد هذا الرجل البابا وقال ما هذه التخاريف وكتب المنشورات ضده مدعياً أنه دجال مشعوذ و"بتاع ثلاث ورقات!".

وحدث أنه عندما اختار الله البابا كيرلس وأصبح بطريركاً، جاء إلى الإسكندرية للمرة الأولى ولم يكن قد التقى بأعضاء المجلس الملى من قبل، وهم أكبر لجنة، فحضروا لمقابلته. كان من بينهم الوزير البرت

برسوم وفريد الفرعونى وشخصيات كبيرة أخرى. فكان يصافحهم واحداً واحداً حتى جاء دور هذا المحامى الذى قام بتعريف نفسه قائلاً: "أنا نظمى بطرس"، فرد عليه سيدنا البابا وقال: "أنت ياخويا بتاع الثلاث ورقات؟" فى عتاب رقيق على ما بدر منه. شعر الرجل بخجل شديد وركع على الأرض وقال له: "أرجوك يا سيدنا سامحنى". أخذه البابا تحت ذراعه بحنان وقال له: "إيه يا بنى باضحك معاك.. باضحك معاك يا أخى.. إوعى تكون زعلت". ثم ضمه وقال له: "إنت عندك إيه عيال؟" أجاب الرجل: "عندى بنت عندها عشر سنوات". قال له: "ما عندكش عيال تانى؟" قال له "لا ماعنديش" قال له البابا: "طب ليه ماجبتش؟" قال الرجل: "ربنا ما ادانيش". فقال له "طيب السنة الجاية يكون معاك ولد ونعمده لك". وكان الرجل قد عانى الكثير فى محاولات الإنجاب، لمدة عشر سنوات دون فائدة. وفى نفس التاريخ من العام التالى، كان معه الولد الذى بشره البابا به. وهكذا نرى أن إنسان الصلاة يكون غفوراً كثير السماح، بينما الإنسان الذى يحمل فى قلبه خصاماً أو ضغينة، لا يستطيع أن يدخل فى حضرة الله، أو يتراءى أمامه، لأن إلهنا إله محبة. وقد أظهر البابا محبة فائقة لمن أساء إليه، وبرهن أن الإنجيل حياة تُعاش، فما أسهل إنجيل الوعظ، وما أجمل إنجيل الحياة.

اقتدار الصلاة

يستمر عمل الصلاة مدى الحياة لأنها عِشرة دائمة مع المسيح ليس لها حدود. لذلك كان الناس يتعجبون أن البابا كان يقضى ساعات طويلة جداً فى الصلاة، غير مدركين لعمق عشرته مع الله. كان فى البدايات عندما يُطلب منه أن يصلى على مريض من أجل الشفاء أو إخراج الشياطين، كان يصلى كثيراً ويتلو الكثير من المزامير، أما فى أواخر أيامه فقد عاينت بنفسى أن الأمر لم يكن يستحق منه أكثر من كلمة واحدة. فحينما يعيش الإنسان فى عشرة حقيقية مع المسيح، يتقدم ويترقى حتى تصبح حياته فى السماء، فتكفى كلمة واحدة. أمر فوق التصور أن يصبح العالم معلقاً بكلمة واحدة من فمه الطاهر. ويمكنك أن تتخيل كم يختلف الأمر مع شخص ما زال يتمرن على الصلاة، أو إنسان لا يدرك معنى الصلاة وأهمية المزامير. فلا يعرف كيف يقف أمام الله، ويترك نفسه للعالم يسحبه بتياراته ويشوش على أفكاره.

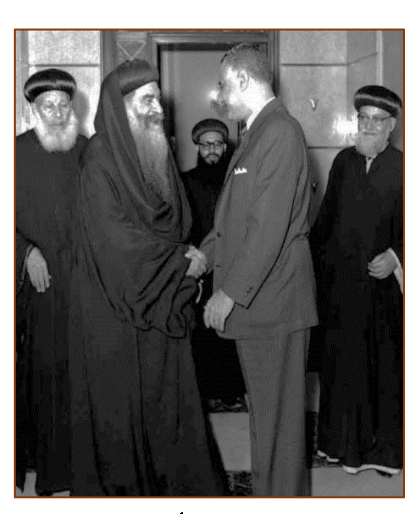
توطدت العلاقة بين عبد الناصر والبابا كيرلس بعد قطيعة امتدت منذ عام ١٩٥٩ إلى عام ١٩٦٥. لم يحدث أن تقابلا فى تلك الفترة، حتى كان من تدبير الله أن أحسن البابا لأحد أقرباء عبد الناصر واسمه أبو وافى. كان الرجل غير مسيحى ولم ينجب أولاداً، حتى صلى البابا من

أجله وطلب له من المسيح نسل، فأعطاه ولداً. حفظ الرجل هذا الجميل، وأحب البابا جداً. وكان يزور البابا بين الحين والآخر ليراه ويلتمس بركته. فلما طالت القطيعة مع عبد الناصر وساءت الأمور، طلب البابا من أبو وافى أن يتوسط لتحديد موعد لمقابلة الرئيس. فرحب الرجل جداً وأبدى استعداداً طيباً للمساعدة فى هذا الأمر، ووعد البابا بأنه فى الغد سيخبره بموعد المقابلة. وبالفعل تحدد الميعاد بعد أيام قلائل. فلما ذهب البابا فى الموعد المحدد، قابله الرئيس عبد الناصر بجفاء شديد جداً، ويبدو أنه كان مثقلاً بهموم البلاد أو مشكلات أو متاعب. فبمجرد أن قابل البابا، بادره بحدة قائلاً: "أليس عندى هموم سوى الأقباط وهَم الأقباط؟ أنتم تعيشون حياة جيدة، فما الأمر؟ ماذا تريدون؟" فوجئ البابا باستقبال الرئيس وحدة كلامه فى بداية اللقاء، رغم أنها كانت المرة الأولى التى يراه فيها. فرد البابا مأخوذاً وقال: "هل هذه تحيتك لى والمقابلة التى تقابلنى بها؟ أنا لم أحدثك فى شئ بعد! منك لله يا أخى.. منك لله".

انتهت المقابلة عند هذا الحد، وخرج البابا حزيناً. استقل سيارته عائداً إلى البطريركية، ثم دخل قلايته وأغلقها على نفسه. فى الواحدة والنصف صباحاً، سُمِعَ طرقاً عنيفاً على باب البطريركية الخارجى، وقد وقف أبو وافى بالباب يطلب سرعة مقابلة البابا لنجدته، فاعتذر تلميذ البابا لأن

سيدنا أغلق باب قلايته، ومن غير اللائق الدخول إليه فى هذا الوقت المتأخر. أشار الرجل إلى خطورة الأمر وضرورة إيقاظ البابا. فاعتذر التلميذ مرة أخرى عن عدم استطاعته الطرق على باب حجرة البابا فى ذلك الوقت المتأخر، خاصة أن البابا يستيقظ فى الساعة الرابعة فجراً للتسبحة. أصر الرجل وأخبر التلميذ أنه إن لم يبادر بإيقاظ البابا، فسوف يقرع باب الحجرة بنفسه. ومع إصرار الرجل اتجها ناحية القلاية، ومن فرط دهشتهما، فُتِحَ الباب وخرج البابا بكامل ملابسه مستعداً للخروج، وقال للرجل: "ياللا يا ابنى خذنى مكان ماانت عاوز".

كانت الساعة الثانية والنصف بعد نصف الليل عندما دخل البابا بيت عبد الناصر. وكانت ابنته قد أُصيبت بحالة هياج شديد، لم تفلح معها محاولات الأطباء لتهدئتها، ولم تنفع معها أدوية. دخل البابا بيت الرئيس وصلى لها فهدأت فى الحال. كانت صلاته حقاً مقتدرة. ومنذ تلك اللحظة تغير عبد الناصر، وخضع لمحبة البابا، وأصبحا من أعز الأحباء بعد سنين جفاء. كان البابا دائماً ما يقول لى: "يابنى عبد الناصر بيقول لى يا والدنا.. نفسه يقول لى يا ابويا بس محرج.. يابنى ابوك ده غلبان، دى نعمة الله".



ويبدو أن شعبية البابا كانت قد أثارت عبد الناصر فى البداية. فعندما كان البابا فى السنين الأولى لحبريته يزور الكنائس فى مختلف البلاد، كان الناس يلتفون حوله فى زحام شديد، يقيمون له الاحتفالات، معبرين عن فرحتهم به بشكل يفوق العقل والتصور. فاعتقد عبد الناصر أن البابا ينافسه على شعبيته وقال: " كم رئيساً فى البلاد!". علم البابا وفى تواضع وخضوع جم، توجه من تلقاء نفسه إلى قصر القبة، ووقّع فى سجل التشريفات تحت عبارة "كيرلس السادس مواطن خاضع لرئيس الدولة".

الصلاة الحقيقية تنقل الجبال

حقاً تستطيع الصلاة أن تُخضع الوحوش، تستطيع أن تُغير القلوب. هذا ما قصده السيد المسيح له المجد عندما قال: "لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهَذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ وَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَيْكُمْ ". يقصد قدرة الصلاة الحقيقية على إزالة أية عقبات من أمام الإنسان.

طبعاً من ضمن الانحرافات الشديدة جداً، أن يعتقد الإنسان أن حياة الصلاة تخدم الحياة الحاضرة. فتكون طلباته من الله من أجل نجاح أو شفاء أو تدبير الأمور التى تنحصر فى الأيام التى نعيشها على الأرض. إذا كان الإنسان يحصر صلاته فى أمور تلك الدائرة الصغيرة، وهى الأمور المادية والحياة الزمنية، فهو لا يعلم معنى الصلاة. السيد المسيح له المجد يقول: "اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ". حين تصلى عليك أن تطلب ملكوت الله أولاً. أما الأمور المادية والزمنية، يعطيها الله للوثنيين ولمن لم يطلبوها، فهو يشرق شمسه على الأبرار والأشرار. لذلك لا يجب أن تظن أن الهدف من الصلاة هو خدمة الحياة الحاضرة. نحن دُعينا أولاد الله، فأصبح لنا دخول إليه وشركة معه واتحاد وتلذذ به، وعشرة معه، وحب له، وتقديس الحياة كلها فيه.

الآيات والعجائب التى تتحقق بالصلاة لا حصر لها، فقد أعطى الله القديسين مواهب وعطايا ليصنعوا الآيات والمعجزات، وقال: "هَذِهِ الآيَاتُ تَتْبَعُ الْمُؤْمِنِينَ". أما المؤمن البسيط الذى يعيش فى العالم، فقد يصيبه الشك فى إمكانية حدوث المعجزات بسبب صلواته. ثق أن هناك الكثير من الأمور التى تخفى عن الإنسان وتتجاوز حدود تصوراته. ربما لا يراها ولا يدركها لكنها تحدث فى تفاصيل الحياة بتدخل إلهى عجيب

جداً. كم من مرة يشعر الإنسان أنه على وشك الضياع ضياعاً نهائياً، لولا أن قوة خفية غير مرئية ويد عجيبة تحول مجرى الأمور، لتنقذ الإنسان من المآزق والفخاخ، وتحجب عنه شروراً وضربات كثيرة، وليس لها تفسير!

الصلاة من قلب نقى

علينا أن ندرك معنى الصلاة الحقيقية ونتذوقها. فالصلاة ليست ترديد كلام، بل هى رفع القلب نحو الله فاحص القلوب مُختبر الكلى، الذى يعلم دواخل قلب كل أحد. الله يقبل الصلوات المرفوعة إليه من قلب نقى، أما حين يتعكر القلب، لا تُقبل الصلاة، لأن قنوات الاتصال تكون مسدودة. نقاوة القلب هى التى أهلت البابا كيرلس للوصول إلى هذه الدرجة فى الصلاة، فكان حينما يطلب، يُستجاب له فى الحال.

فى ذات مرة كان هناك مشكلة فى كنيسة مارجرجس اسبورتنج، وكان البابا كيرلس موجوداً فى الإسكندرية. فاتفقنا على أن نذهب إليه لنطرح عليه الموضوع، وجاء معنا أعضاء اللجنة. وبينما نحن فى الطريق نتباحث فى كيفية عرض الأمر على سيدنا، قال أحد الأحباء وقد كان كثير الكلام: "هيقول لنا صلوا.. هنحط قدامه الموضوع هيقول صلوا" فأبونا بيشوى قال: "لا بأس، نأخذ بركته لأنه هو أبونا ولابد أن نسأله".

عندما دخلنا إلى البابا سلم علينا وأعطانا قربان، ثم سأل عن أحوالنا، فطرحنا الموضوع. فقال البابا: "يا ابنى صلوا.. يا حبيبى صلوا". ثم أشار البابا إلى الرجل وقال له: "وأنت ما رأيك؟ مش عاجبك الصلاة؟ انت تقدر تعمل حاجة من غير صلاة؟ هل تدرك عمل الصلاة! بالصلاة نقلوا الجبال وأخرجوا شياطين وأقاموا موتى وشفوا أمراض" اعتذر الرجل فى الحال وقد إحمر وجهه من الخجل وقال: "أخطأت يا سيدنا سامحنى". ثم صمت تماماً. إذ لم يكن الناس يدركون معنى الصلاة وقوتها.

اسكب نفسك أمام الله واثقاً فى كلمات المسيح له المجد: "كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ فِى الصَّلاَةِ مُؤْمِنِينَ تَنَالُونَهُ". لا تحصر طلباتك فى تلك الدائرة الصغيرة الخاصة بالحياة الوقتية من مأكل ومشرب وملبس وشفاء من ألم ومرض وخلافه. نحن مدعوون لملكوت الله، فاطلبوا أولاً ملكوت الله. افتح قلبك دائماً للملكوت، أما الأمور الوقتية، فستُعطى لك وبزيادة كبيرة جداً. السيد المسيح له المجد قال للتلاميذ: "حِينَ كَسَّرْت الأرغِفَة الخَمسَة لِلخَمسَة الآلاف كَم قُفة مَمْلُوة كِسَراً رَفَعتُم؟"، قالوا "اثنَتَى عَشرَة قُفَّة". قال لهم فلماذا تعولون الهم وأنا معكم! وأنت أيضاً مع المسيح فلماذا تقلق وتهتم! لماذا تحصر نفسك فى الزمن! لماذا تعطى المشكلات الصغيرة حجماً كبيراً!

الصلاة حلت الحديد، أخضعت وحوش الأرض، نقلت الجبال، أقامت موتى وأخرجت شياطين. لا تقلل من شأنها وأدخل إلى الله لتتذوق طعم الصلاة. صلى بإيمان تنال، صلى بإخلاص، صلى بقلب نقى. انزع العكارة التى يلقيها الشيطان فى القلب ليعكر صفو حياتنا. يعكرها بخصومة، بعداوة، بكلام بطال، بسيرة أو بأفكار رديئة. وحينما يتعكر القلب، تكون الصلاة كلاماً فى الهواء. أما الصلاة من قلب نقى، فهى ترتفع أمام الله كرائحة بخور مقبولة.

الصلاة تُرهب الشياطين

عندما يعيش الإنسان حياة الصلاة الحقيقية، تخشاه الشياطين. أما نحن فقد أصبحنا نخاف من التجارب والشياطين، بعد أن أوقعنا الشيطان فى الكثير من الخطايا. لأتفه الأسباب يقع الإنسان فى كذب أو شتيمة وفى العديد من الخطايا الأخرى. حين تتوطد علاقة الإنسان بالمسيح فى الصلاة، كما رأينا مع البابا كيرلس، كانت الشياطين تخاف منه وتخشاه. وقد رأيت هذا بنفسى. ففى أحد الأيام بعد أن انتهى البابا من القداس وكنا حوله، جاءه شاب وارتمى على الأرض يرفس ويزبد فى منظر مخيف. اقترب البابا منه ممسكاً الصليب وقال له "ايه!" فرد الشيطان "مش هاطلع".. قال له البابا "بقولك سيبه" فقال "مش هاطلع" قال له

"طب بلاش"، ثم استدار البطريرك لينصرف، فصرخ الولد "تعالى خلاص.. تعالى هاطلع خلاص.. خلاص" وكان يضرب نفسه فى الأرض. فقد كانت الشياطين ترتعب منه. عاد البابا وأحضروا له إبريق ماء رش على الولد ورشم عليه إشارة الصليب، فوقف معافى فى الحال.

كانت الشياطين تخاف منه حتى وهو نائم. فقد كنت أقف بجواره ذات يوم وهو يجلس على الكرسى فى البطريركية، وغلبه النعاس من شدة التعب والسهر فأغمض عينيه. تقدم شخص به روح نجس. وعندما اقترب من البابا وهو نائم، وقع على الأرض. فتح البابا عينيه وقال له: "قوم يا ابنى قوم" فقام الولد وقد خرج الشيطان. كانت الشياطين تخاف من اسمه، من شكله، من منظره.

آمِن أن كل ما نسأله فى الصلاة بقلب مستقيم نناله. الأمر يحتاج إلى تمرين ومواظبة. يحتاج إلى تكريس القلب، والابتعاد عن الملل. صلوا ولا تملوا، صلوا كل حين، صلوا واسهروا، صلى. آمن بنعمة الصلاة التى أعطيت لنا حتى نقول لله "أبانا". أنت تقول لله أبويا، "انْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ الله". آمن أن الله أحبنا إلى المنتهى وأسلم ذاته لأجلنا، وأن طلباتنا مقبولة لديه. ستحتاج إلى أن تصبر وتتعلم وتفطن. دعك من القلق، فهو آفة الصلاة. القلق يدل على ضعف الثقة

فى الله. لا تقلق حتى ولو تأخرت استجابة الصلاة. فى بعض الأحيان أُجيب ابنى بالرفض أو التأجيل من أجل مصلحته، وهى فى الحقيقة تُعتبر استجابة. لذلك لو كانت إجابة الصلاة "لا" فهى أيضاً استجابة. حياة التسليم يتعلمها الإنسان من الصلاة، نضع حياتنا فى يد المسيح بهدوء وسلام قلبى، بدون انزعاج، بتمام الثقة فى مواعيد الله. لن يتركنى إطلاقاً ولن يهملنى فليس هذا طبعه أبداً. والذى بدأ فيكم عملاً صالحاً يقدر أن يكمل إلى يوم ربنا يسوع المسيح الذى له المجد الدائم إلى الأبد آمين.



البابا كيرلس مع السبع رهبان الأوائل فى دير مارمينا بمريوط

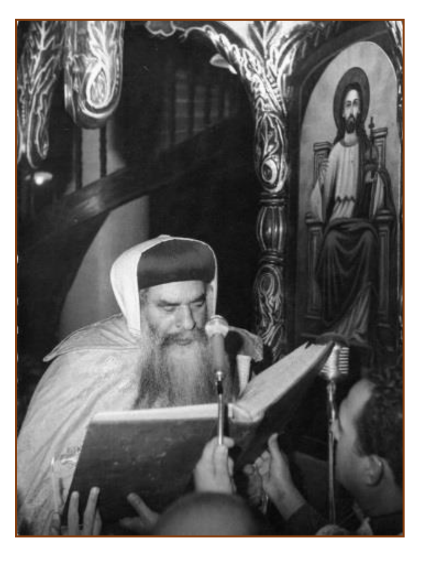


٣- تقـديـس الحيـاة

حياة سماوية

فى مثل هذا اليوم منذ ثمانى وثلاثون عاماً، أكمل البابا كيرلس جهاده على الأرض وانطلق إلى أحضان الآباء القديسين فى الكنيسة، وهو الذى كان يعيش على الأرض أيضاً فى الكنيسة. فالكنيسة واحدة سواء كانت على الأرض أو فى السماء. بمعنى أننا فى الجسد كنيسة، والأرواح المُكَمَلة فى المجد مع كل الآباء القديسين على مدى الأجيال، هم نفس الكنيسة. يُطلقون على الكنيسة التى فى الأرض الكنيسة المجاهدة، بينما يطلقون على الكنيسة التى فى السماء الكنيسة المنتصرة. لكن فى الواقع هى كنيسة واحدة، لأن الكنيسة المجاهدة هى أيضاً منتصرة بالمسيح. والسماء لم تكن خيالاً بالنسبة للبابا كيرلس، بل كانت واقعاً غير مادى. السماء هى مسكن الله مع الناس. والذين يسكنون السماء بالنسبة لنا هم القسم الأكبر من الكنيسة، ونحن نمثل الجزء الصغير، مقارنةً بالقديسين الذين انضموا إلى السمائيين على مدار عشرين قرناً من الزمان.

صلاة منذ الحداثة



عاش البابا كيرلس حياة الصلاة منذ طفولته حتى انتقاله إلى السماء. لم تتجاوز مدة حياته على الأرض تسعة وستين عاماً. فقد ولد فى أغسطس من عام ١٩٠٢، وتنيح فى مارس من عام ١٩٧١، قبل أن يُكمل عامه التاسع والستين. فى كل هذه السنوات، هل تتخيل كم العمر الذى عاشه البابا فى الصلاة والتسبيح، ومقدار الوقت الذى أمضاه فى الاتصال مع الله وعشرة القديسين؟ وما هو نصيب الصلاة فى حياتى؟

قبلما يبدأ حياته الرهبانية، كانت حجرة البابا مخصصة للتسبيح. فبينما يخلد الجميع إلى النوم، كان يسهر الليل فى التسبيح والصلاة. لم يكن راهباً أو قسيساً أو حتى أحد مسئولى الكنيسة، ولم يفرض عليه أحد تلك الطريقة فى الحياة لكنها كانت رغبة نابعة من حبه المكنون لشخص السيد المسيح. أحب المسيح حباً جماً، فكان يصلى بلا شبع، ولا يتوانى فى أصوامه الكثيرة وهو بعد شاب صغير.

هذه الآيات تتبع المؤمنين

يتعلق الناس طبعاً بالآيات والمعجزات. فهى أمور ملموسة يحبها الناس جداً. من ناحية الملموس من الآيات والمعجزات وشفاء الأمراض وإخراج الشياطين والأعمال التى قال عنها الكتاب: "هذه الآيات تتبع المؤمنين"، كلها كمُلت فى هذا الرجل. لم يكن يملك وسيلة لحل المعضلات الصعبة أو التغلب على المشكلات سوى وسيلة واحدة وهى المذبح والذبيحة. كان يضع كل الهموم على المسيح الحاضر بجسده. وبعد ونحن فى أحد التجربة، هل تعتقد أن مثل هذا الرجل الذى عاش حياته كلها للمسيح، قابلته تجارب أو مصائب أو ضيقات أو مشاكل؟ نعم، لقد صادفه الكثير جداً من الخطوب والمشاكل. فحياة القديسين لا تخلو من التجارب، على العكس فإن الشيطان يهيج بالأكثر.

كان لا يزال راهباً فى مصر القديمة يخدم شعباً يتميز بالبساطة والطيبة. وكان عندما يلجأ إليه إنسان فى مشكلة فى عمل أو اضطهاد أو خلافه، كان يكتب مزموراً ويعطيه للشخص ويقول له "خلى ده معاك". شخص معاند، ضد المحبة أو يمشى فى طريق بطال، يقول لزوجته "خذى هذا الزيت وضعيه له فى الطعام". فكان إيمانه بسيطاً، وبهذا الإيمان تمت على يديه معجزات لا حصر لها.

ثمر الصلاة

نحن نسمح لأقل الأشياء بأن تنغص علينا حياتنا، وقد يتغير القلب بسبب كلمة، فيغلق أبوابه أمام المسيئين. لكن حياة الصلاة غيرت ما للإنسان الطبيعى، فارتقى البابا وارتقى لتسمو مشاعره فوق العداوة. فكان يقابل من شتموه واتهموه وأساءوا اليه بالحب، وإن لم يقبل البعض المحبة، إلا أن المحبة لابد لها أن تنتصر فى النهاية.

لم يَسْلَم البابا حتى من الآباء المطارنة، الذين إشتكوا عليه وقالوا أنهم يريدون شخصاً يدير الكنيسة، ويحقق نهضة وإصلاحاً، مدعين أن البابا يتصرف كما لو كان عريفاً، يقضى ليله ونهاره فى الصلاة والتسبيح وهذا لا يعود بفائدة على الكنيسة. وكما يقول الكتاب، "كَثِيرَةٌ هِى أَحْزَانِ الصِّدِّيقِين وَمِنْ جَمِيعِهَا يُنَجِّيهِم الرَّبُّ"، فقد عانى البابا كثيراً جداً، ثم غير الله الأحوال، وبدأ الناس يدركون معنى الصلاة والاتصال بالله. فكان الجموع يتوافدون بشكل مهول كل يوم على البطريركية، ويصطفون فى طوابير ملتمسين رؤيته ونوال البركة. كان البابا يوصى الآباء الكهنة بالإلتصاق بالمذبح، وكان يقول "يا ابونا المذبح فيه حل لجميع المشاكل، لا تبحث عن حل لمشكلة أو ضيقة أو اضطهاد أو تعب إلا فى المذبح".

ورغم أن البابا عانى من مضايقات كثيرة، إلا أنه لم يظهر يوماً متضايقاً. حتى فى أحلك أوقات علاقته مع عبد الناصر، لم تكن تظهر عليه علامات الضيق، لم يشكو أو يتحدث عن الأمر. كان يطرح كل همومه أمام الله. وقد ذكرنا قبلاً ما صادفه من ضيقات كثيرة ومتاعب لا حصر لها من داخل ومن خارج. خاصة من أعضاء المجلس الملى بالقاهرة الذين سببوا له الكثير من المتاعب بمجرد رسامته بطريركاً. كانوا من الأثرياء المتسلطين، وكانوا يسيطرون على مقاليد الأمور، وتتألف منهم العديد من اللجان. حاول البابا معهم بكل وسيلة فأتعبوه جداً. وحينما انصلحت الأمور وأصبح عبد الناصر حبيباً له، حل المجلس الملى وألغى صلاحياته، رغم أنه منصوص عنه فى قانون الدولة. لكن عبد الناصر قال له "ولا يهمك". وقد أبقى البابا على المجلس الملى فى الإسكندرية، لأن أعضاؤه كانوا على قدر من الطيبة والروحانية، وكانوا يكنون له المحبة. لذلك فقد طلب البابا من أبونا بيشوى أن يعرضنى عليهم أيام رسامتى لأخذ موافقتهم. فلم يكن يحمل ضغينة نحو أى إنسان فى قلبه الذى يسكنه الله. كان محباً، طاهراً، مقدساً منذ شبابه المبكر. قدس نفسه وجسده وعينيه وفكره بالكامل للمسيح.

بصيرة ومهابة

صنع البابا آيات كثيرة جداً، وقد أعطاه الله بصيرة واستنارة لم نشهد لها مثيلاً فى هذا الجيل ولا فى الأجيال السابقة، فكان يعرف الإنسان من نظرة واحدة. كما أعطاه الله مهابة لم ينل مثلها إنسان فى هذا الجيل. كان مهوباً، مخوفاً رغم أنه بسيط جداً فى حياته وقد عاش فقيراً جداً حتى وهو البطريرك. كان لا يعتبر نفسه شيئاً، فقد كان متضعاً جداً حتى التراب. لكن أعطاه المسيح مهابة أمام كل من ينظر إليه. لم يكن يخفى عليه أمر، وهذا يرجع إلى إتصاله بالله وعلاقته الحقيقية به. كان البابا وسيلة إيضاح لكيفية الحياة الروحية، ولِما يجب أن يكون عليه شكل الإنسان الروحى عندما يكون ابناً لله بالحق، متصلاً به، محباً للمسيح.

أعطاه الله عيناً مفتوحة لمعرفة الأمور الخفية، فلم يكن من الممكن غشه أو خداعه. وكلما زاده الله من النعم الروحية والإحسانات، كلما إزداد إتضاعاً. كان يحسب نفسه قليل وضعيف وخاطئ ومسكين على الدوام. ولم يكن من طبع البابا الضحك، فقد كان جاداً على الدوام، لكنه لم يكن عابساً أو كئيباً، بل كان بشوشاً.

أذكر فى إحدى المرات بعد صلاة القداس، ولم يكن قد مرَّ على رسامتى سوى شهر، أن اصطف الناس ليسلموا عليه وكل منهم يقول له طلبته،

ويعطيه بركة. جاءت سيدة لتسلم عليه فقال لى: "دى بنت خالتك؟" كانت هذه السيدة من كنيسة بعيدة، لكنها كانت تحضر إلى المرقسية بين الحين والآخر وهى إبنة عمتى. لم يكن البابا يعرفها، لكنه قال لى: "دى بنت خالتك؟" قلت له: "لأ مش بنت خالتى".. فقال لى ببشاشته المعهودة: "تبقى بنت عمتك".

حزم وحنان

كان بسيطاً غاية البساطة، وخاصة مع الأطفال. قص علىّ أحد الأشخاص قصة لقائه بالبابا كيرلس، فقال: كنت بعمر الثانية عشرة عندما ذهبنا إلى الأزبكية. كان الوقت بعد إنتهاء القداس وقد اصطف الناس فى طوابير لنوال البركة. فبعدما سلمت على البابا، أخبرت أخى الذى إصطحبنى معه، أننى أود أن أسلم على البابا مرة أخرى فنهرنى، لكنى لم أسمع له، وعدت أقف فى الصف ثانية. كان الصف طويلاً جداً، وحين وصلت إلى البابا، نقل البابا الصليب من اليد اليمنى إلى اليد اليسرى وصفعنى على وجهى. خفت وارتعبت، فقام البابا عن كرسيه وجذبنى إليه، ثم مد لى الصليب لأقبله، وقال لى: "ماتعملش كدة تانى". أخافنى جداً ثم ترفق بى فى حنان.

محبته للفقراء

أما الفقراء والمهملين من المجتمع فقد كانوا أحباءً له. كان للبابا مقياس يختلف عن العالم، وهو مقياس الإنجيل الذى يقول: "إِن دَخل إِلى مَجمعِكُم رَجُل بِخَوَاتِم ذَهَب فى لِبَاسٍ بَهِيّ، وَدَخَلَ أيضاً فَقِيرٌ بِلِبَاسٍ وَسِخ، فَنَظَرتُم إلى اللاَّبِس اللِّبَاس البَهِى وَقُلتُم له: "اجلِس أنتَ هُنَا حَسَناً". وَقُلتُم لِلفَقير: "قِف أنتَ هُناك" أو: "اجلِس هُنا تَحْتَ مَوْطِئ قَدَمَى". فَهَل لاَ تَرتَابُون فِى أنفُسِكُم، وَتَصِيرُونَ قُضَاةَ أَفْكَارٍ شِرِّيرَةٍ؟ اسْمَعُوا يَا إِخْوَتِى الأَحِبَّاءَ، أَمَا اخْتَارَ اللَّهُ فُقَرَاءَ هَذَا الْعَالَمِ أَغْنِيَاءَ فِى الإِيمَانِ، وَوَرَثَةَ الْمَلَكُوتِ الَّذى وَعَدَ بِهِ الَّذِينَ يُحِبُّونَه؟" هذا هو الإنجيل. وعندما أرسل القديس يعقوب هذه الرسالة، وبخ المؤمنين على هذا الخطأ، لأنهم يكرمون الناس بمقدار ثرائهم، بينما الكنيسة يجب أن تعطى كرامة للأغنياء فى الإيمان وأصحاب الفضيلة. من يحيا فى المسيح، فهذا مُكرم جداً. لذلك فقد كان البابا يكرم الفقراء جداً، كما كان يبجل كبار السن من الشيوخ ويعطيهم كرامة.

حِرص القديسين

أذكر مرة كان البابا فى الإسكندرية ودخلت إليه ووقفت أتحدث معه فى موضوع ما، وحينما هممت بالخروج، دخلت سيدة عجوز من منطقة فقيرة

فى محرم بك. كانت فى السبعين من عمرها ملفوفة فى ملاءة بحسب الزى التقليدى لبعض السيدات البسطاء. وكانت تريد أن تحدثه عن فتاة على وشك تغيير دينها. فهممت بالخروج واغلاق الباب، فقال لى بحدة: "سيب الباب مفتوح"، قلت فى نفسى "فيه إيه.. بيشخط فىّ ليه؟ فليكن..". تركت الباب مفتوحاً باستغراب لأنها كانت سيدة عجوز ترتدى ملابس بسيطة، ليس بها ما يلفت النظر. بعد سنوات أدركت أنه كان حريصاً حرص القديسين.

القديسون لا يُدركهم الإحساس بأنهم أقوياء أو محصنون ضد الخطية، لأن الإنجيل يقول: "قَبْلَ الْكَسْرِ الْكِبْرِيَاءُ وَقَبْلَ السُّقُوطِ تَشَامُخُ الرُّوحِ." فالإنسان الذى يشعر أنه أصبح شيئا كبيراً ولا يهاب الخطية، هو بعيد كل البعد عن فكر القديسين. أما البابا كيرلس فقد كان حريصاً للغاية على حياته الروحية، شديد الحرص فى أصوامه وصلواته، حتى أن مجرد شِبه الشر كان بالنسبة له أمراً جسيماً جداً.

كان البابا يوبخ الكهنة الذين يختصرون الأواشى. وإن قابل أحدهم يقول له "ايه يابنى مش عجباك الأواشى؟ أُمّال محطوطة فى الكنيسة ليه؟ صلوا من أجل سلامة كنيسة الله الواحدة الوحيدة المقدسة.. مش عجباك دى! بتصلى من أجل سلام الكنيسة". لذلك لم يكن بين كهنة القاهرة أو

الإسكندرية من يصلى الأواشى سراً، طبعاً كانوا يهابونه ولم يكن يتجاسر أحدهم على مخالفته. التدقيق حياة، وهو لم يكن متزمتاً، لكنه كان مدققاً حتى فى الأمور الصغيرة جداً فى حياته الخاصة. وعندما تدرج من راهب صغير إلى بطريرك عظيم، زاد فى التدقيق والحرص والوعى والبصيرة. مئة وستة عشر بطريركاً مروا على الكنيسة، لكن البابا كيرلس سيرته نادرة ونحن محظوظون أننا عاصرناه.

تدبيره ورؤيته للمستقبل

حينما شرع البابا فى بناء دير مارمينا، قامت عليه الدنيا. قالوا أنه أضاع أموال الكنيسة فى الصحراء، ولماذا يبنى سبع مذابح وكاتدرائية، والكثير من الشكاوى. لكن نظرته للأمور كانت تختلف عن نظرة الآخرين. فقد كان يرى المستقبل الذى لا يراه غيره، فصَمَت أمام ما قيل عنه من أنه قد بدد المال فى الصحراء. ولقد ساهم الإتساع العجيب لدير مارمينا والكاتدرائية الملحقة به، فى أن يصبح المكان ملاذاً للأقباط، وهو ما كان يراه البابا ولا يدركه الآخرون. ومع ذلك لم يوجه لوماً إلى إنسان قط.

فى أيامه الأخيرة، وضع الله كل أعدائه تحت قدميه، جميع الناس ممن كانوا ضده، عرفوا واكتشفوا. وقد صنع الرب على يديه آيات وعجائب لا تحصى ولم تنقطع إلى يومنا هذا، فهو لم يمت بل هو حى فى السماء.

علاقته بالقديسين

علاقة البابا بالقديسين كانت علاقة حقيقية، لا تعتمد على النظر واللمس والسمع مثل باقى الناس. حينما ظهرت السيدة العذراء فى الزيتون عام ١٩٦٨، كنت فى زيارة للقاهرة. صليت قداساً هناك ثم توجهت إلى البطريركية لمقابلة سيدنا ونوال بركته، فبادرنى بالسؤال: "كنت فين؟" قلت له: "كنت فى كنيسة العدرا". قال لى: "تعيش وتصلى"، قلت له: "كتر خيرك". سألنى: "صليت فين؟" قلت له: "فى الزيتون"، ثم أكملت: "هو انت مارحتش؟" قال لى: "رحت فين؟" قلت له: "فى الزيتون". قال لى: "ليه؟" قلت له: "عشان تشوف العدرا". قال لى: "يا بنى العدرا معانا كل يوم".

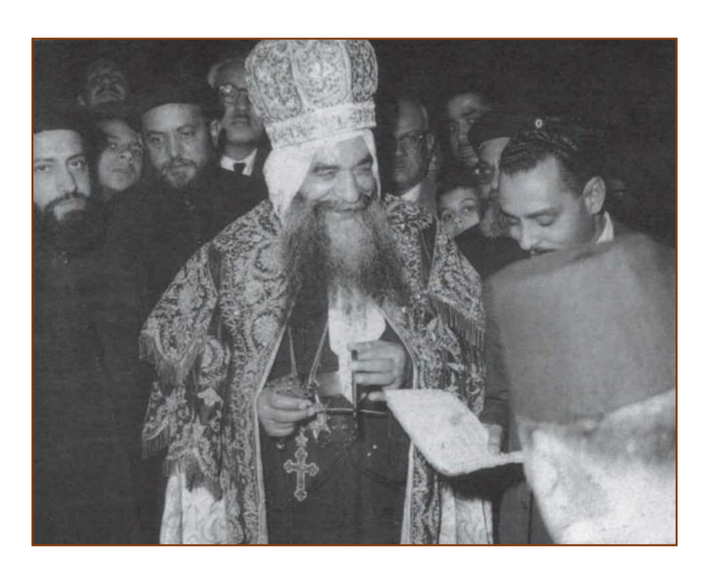
عشرات الألوف من البشر كانوا يذهبون لرؤيتها، ومنهم شخصيات هامة جداً. أما هو فقد أرسل أساقفة فى اليوم الذى استمر فيه ظهور السيدة العذراء لعدة ساعات، وسجلوا ما كُتِبَ فى السنكسار الموجود فى تاريخ الكنيسة، لكنه لم يذهب، لأنه لا يعتمد على ما نعتمد عليه من النظر واللمس والحواس الجسدية. لذلك قال لى "يابنى العدرا معانا كل يوم"، فهى بالنسبة له حقيقة يعيش معها، ولا يحتاج أن يذهب ليراها.

نهاية مجيدة

فى آخر أيامه، أعطاه المسيح نعمة فائقة ومجداً فوق مجد. يحكى لى الفراش الخاص به، وهو أحد الاخوة الذين كانوا يصحبونه عند الذهاب إلى بيت عبد الناصر، أن حاشية الرئيس كانوا ينظرون لهم كأنهم آلهة، ويلتمسون البركة من فراش أو ساعى البابا. كانوا مكرمين جداً فى القصر الجمهورى، وكانوا يحتفون بهم لمجرد أنهم خُدام البابا. وقد أكرم السيد المسيح البابا فى سنيه الأخيرة إكراماً جزيلاً فى الداخل والخارج. واستفاقت الكنيسة من كبوتها وأصبحت شعلة نار بفضل الروح والصلاة.

لما أكمل سعيه ضمه المسيح من أتعاب العالم بعد أن تكبد أتعاباً كثيرة جداً. بذل شبابه وجهده وقوته والحياة كلها محبة فى المسيح. سَهِرَ الليالى وزَرَفَ الدموع وقدم للمسيح أكبر ذبيحة وتقدمة قدمها إنسان فى جيلنا، ونحن مازلنا نتمتع بهذه النعمة لأن الكنيسة حية. ولا أنسى عام ١٩٨١، عندما مرت الكنيسة بضائقة شديدة وتم إعتقال عدد كبير من الكهنة والأساقفة، كان البابا كيرلس هو أكبر سند للمسجونين فى تلك الضيقة، وقد ظهر برؤى كثيرة لأناس كثيرين وطمأنهم بشكل فائق. لذلك أقول لكم إن البابا كيرلس لم ولن يمت مهما مرت السنوات. فلا تحسبوا حساب

الزمن عندما تفكرون فى الكنيسة، فالكنيسة فوق الزمن لأنها فى المسيح غير الزمنى. ولربنا المجد دائماً أبدياً آمين.



البابا كيرلس يقود تمجيد مارمينا وهو ممسكاً بالتريانتو وأمامه ممسكاً بكتاب التماجيد ابن اخته الشماس إدوارد لبيب نعمة الله (أبونا مينا نعمة الله اول كاهن يرسله البابا كيرلس ليبدأ الخدمة فى أستراليا)



٤- مُـؤازرة البـابـا القديــس

ما نشهده اليوم فى هذا المكان ليس نتاجاً للمصادفات. فلم تكن صدفة أن يوافق الاحتفال بأول قداس يُقام فى هذه البيعة المقدسة، عيد البابا كيرلس. هذه تدابير إلهية عجيبة جداً، لكننا نتأخر أحياناً فى إدراكها. فمنذ اليوم الأول لوجودنا فى هذا المكان، كان أبونا البابا كيرلس هنا بحق.

عندما بدأنا إجراءات شراء الكنيسة، فتحنا حساب الضمان "الإسكرو" فى عيد البابا كيرلس من عام ١٩٩٠. لم نكن نملك فى ذلك الحين سوى سبعة آلاف دولار، وكان الثمن المطلوب مليون وسبعمائة ألف دولار. فكان هذا مَثَار تعجب واستنكار من المحيطين الذين كانوا يتساءلون عن مدى إدراكنا لتَبِعَات القرار، وكيف سنتمكن من سداد تلك المبالغ الطائلة. حتى أن إحدى الفتيات من شدة قلقها، أيقظت والدها من النوم لتسأله: "هو أبونا فاهم يعنى إيه واحد وسبعة من عشرة مليون دولار؟ يعرف يعدهم؟" لكننا كنا فى سلام، ونشعر يوماً بعد يوم أن الله وضع فى هذا المكان نعمة خاصة. وفى مثل هذا اليوم أيضاً منذ اثنين وعشرين عاماً،

أنعم الله علينا بأبونا كيرلس الذى تمت رسامته فى ذات اليوم ببركة البابا كيرلس.

عندما اشترينا هذا المكان كان مطبعة. وقبل أن نفكر فيما سنفعله، رأيت البابا كيرلس جالساً وسط المكان. كان يجلس وحده على كرسى فى المنتصف، فاعترانى شعور ببركة لا يضاهيها شئ. تكلمنا وكان كلاماً مفرحاً جميلاً حلواً، ثم قلت له: "انتظر، أريد أن أحضر لك أبونا كيرلس من المكتب لتباركه"، وأسرعت إلى أبونا كيرلس وعدت به. ركع أبونا كيرلس أمام البابا ليباركه، فقلت "ده اترسم يوم ٩ مارس". فقال لى البابا "اشمعنا ٩ مارس؟". قلت له "ما انت عارف.. وأخذ نفس الإسم". فوضع يده عليه وباركه.

لذلك ليست صدفة أن نصلى أول قداس بحضوره بيننا فى يوم عيده. وقد واجهتنا مشكلات كثيرة جداً من اليوم الأول لا يعرفها أحد، وتم حلها بإعجاز فوق العقل، منها أمور مالية أبعد من الخيال. لكننا كنا نشعر بمؤازرة الله منذ اليوم الأول. وكما فتحنا حساب الإسكرو فى يوم عيد البابا كيرلس، أغلقناه يوم عيد الأنبا إبرآم. فوجود القديسين بيننا حقيقة وواقع. وقد أنعم الله على هذا المكان بنعمة خاصة جداً، لذلك أرجو أن نحفظه فى القداسة والمحبة، وجميع وصايا المسيح.

القديسون ليسوا حكايات للتسلية، بل هم مؤازرون لحياتنا ومتواجدون معنا، ولابد أن نضع أمام أعيننا قول السيد المسيح له المجد: "لَوْ كُنْتُمْ أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ". نحن سعداء لأننا أولاد البابا كيرلس وعلى يقين من أنه يرانا، لكن المسئولية تقع علينا لنتمثل بتلك الآية.

فأرجو أن تنفتح قلوبنا بالمحبة الشديدة، ونزهد فى العالم بكل ما فيه، فليس به ما يستحق. كما أتمنى أن نحفظ أنفسنا فى القداسة. وكما عاش البابا كيرلس حياته كلها فى صلاة، علينا أن نصلى بالحق، لأن كَم المشكلات الناجمة عن افتقار البيوت للصلاة كثيرة جداً. مشاكل فى العائلات ومع الأولاد، صدقونى سببها عدم الصلاة. لذلك أوصيكم أن تجعلوا هذه الكنيسة موضعاً للصلاة والعبادة الحقيقية على الدوام. صلوا القداسات بكل القلب وعلموا الأولاد. هذه المسئولية الكبيرة وُضعت على عاتقنا. وإذا كانت روح البابا كيرلس معنا، فعلينا مسئولية كبيرة وهى أن نعيش للمسيح كما عاش. وكما أحب البابا المسيح مدى الحياة، وكرس نفسه وجسده وحياته لشخص المسيح الذى أحبه، أصبحت مسئوليتنا بنعمة المسيح أن نعيش مثله، طالبين شفاعته ومتأكدين أنه لن يتركنا إلى النفس الأخير. ولربنا المجد دائماً أبدياً آمين.



٥- مثال فى الصلاة

علامة منيرة على الطريق

يرسل الله فى كل جيل شهوداً يشهدون لعمل نعمته. ولا يخلو جيل من أجيال الكنيسة من هذه العينات، الذين يضيئون الطريق أمام الساعين نحو الملكوت. ويعتقد البعض أن الكنيسة تمر أحياناً بفترات ضعف أو فترات قوة، غير أنَ الكنيسة هى الكنيسة. لأن المخفيين من أولاد الله، وغير المعروفين لدى الناس هم بلا عدد. وفى كل جيل يُظهر الله واحداً أو اثنين أو ربما ثلاثة، ممن وصلوا إلى درجة لا يُخشى عليهم من كلام الناس ومديحهم الذى يصعب احتماله. وحديثنا اليوم عن صاحب السيرة العطرة الذى حَبانا الله به فى جيلنا. المثال العظيم الذى عاينه الناس وعاصروه، البابا كيرلس السادس، الذى نحتفل الليلة بمرور سبعة وثلاثين عاماً على انطلاقه إلى الأمجاد.

جهاده ونسكه

تدرب القديس فى حياة النسك والصلاة منذ شبابه المبكر، كان قاسياً جداً على نفسه، فى أصوام شديدة جداً، وفى حفظ ذاته بعيداً عن العالم، وتقديس فكره وعينيه وقلبه وكل كيانه. كان يبدو قاسياً جداً لمن يراه من بعيد، غير أنه كان قاسياً مع نفسه فقط، أما مع الآخرين فكان فى غاية الحنان واتساع القلب. عاش البابا حياة البتولية وفى نسك صارم، فى جهاد وصراع ضد شهوات الجسد ومجد العالم. عاش فى فقر شديد، يعبد الله بصلوات وأصوام لا حصر لها. مما كان له عميق الأثر فى أن يتطبع البابا بصفات وملامح الله، وقد باتت صورته تعكس صورة الرب يسوع الذى أحبه والتصق به كل أيام حياته.

عطف وحنان الأب

كان البابا صارماً وشديداً على نفسه، لكنه كان حنوناً جداً على الصغار والمبتدئين. وقد غمرنى بحنانه الفائق حين كنت أقضى فترة الخلوة بعد الرسامة فى دير مارمينا. كان هذا وقت الصوم الكبير، وكانوا يصلون القداسات على مدار اليوم. فكان البابا يصلى القداس الأخير الذى ينتهى فى السادسة أو السابعة مساء. وفى بعض الأيام، كان يُطلَب منى أن أنتظر لأصلى معه. فكان حينما يرانى أتقدم ومعى التونية ليرشمها، يقول

لى: "يابنى ليه خلوك كده؟ ليه تقعد صايم لغاية دلوقتى؟ ماتصلى قداس بدرى". وعندما كنت أنزل لصلاة التسبحة فى الرابعة فجراً، يقول لى: "إيه اللى جايبك؟" أقول له: "جاى أصلى.." يقول لى: "يا بنى لسه مشوارك طويل، ما تبدأش السلم بالأوى.. بالراحة بالراحة". كما لمس قلبى بحنانه وعطفه الأبوى حينما أُصبت بدور برد بعد عدة أيام، فجاءنى فى الحجرة التى كنت أقيم فيها بنفسه، ليتفقدنى وأحضر لى معه الدواء.

بركات الالتصاق بالله

ما قدمه البابا من أبوة وحنان فائق هو محصلة طبيعية لعلاقته بالله. فعندما يقترب الإنسان من الله، ويُكثر الصوم والصلاة، فإنه يصبح رقيق الطبع، طيب، كثير الحنان، يتعامل بكل الرفق واللطف والحب مع الجميع. مهما كبر وعظم شأنه، يكبر فى المسيح يسوع فيزداد فى اللطف جداً. وقد كان البابا طيب القلب إلى أقصى درجة، يتعامل ببساطة مع الأطفال كما لو كان واحداً منهم، مع أنه كان مهوباً، يخشاه كبار الدولة والوزراء، ويرتعش أمامه الكثيرون من الأثرياء وأصحاب المصالح الكبرى.

حين تقترب من الله، يُغدق الله عليك من جوده. قد يراودك فكر بأن هذا الكلام لا يصلح لأمثالنا، لأن البابا كيرلس كان راهباً وبطريركاً فى جيل سابق. غير أن المسيح واحد، والمذبح واحد، والذبيحة التى على المذبح واحدة، والمعمودية واحدة، والروح القدس الساكن فينا واحد. الله يوزع مواهب كثيرة وكل منّا له نصيب. فبقدر ما لك وبحسب دعوتك، تستطيع أن تُقدس ما عندك. ليس مطلوباً منك أن تكون راهباً أو كاهناً أو صاحب رتبة كنسية. صدقنى الشرط الأساسى أن يكون لك علاقة خفية مع الله.

حياة سرية مع الله

كانت علاقة البابا مع الله مخفية، فلم يُطْلِع إنساناً على أسراره، ولم يكن ماعنده للعرض والكلام. كان الناس يرون الظاهر فقط ، لكن لم يكن أحد يعلم ببواطن الأمور أو أسرار حياته مع الله على مدى السنوات الطويلة. لا أحد يعرف شيئاً عن ثمار القداسات اليومية، والتسبحة الصباحية والمسائية، وسهر الليالى. أسراره مع الله ظلت مخفية عن عيون الناس. لم نرَ سوى أموره الخارجية الظاهرة فى تدبيره كبطريرك. وكذلك من عرفوه قبل ذلك كراهب فى مصر القديمة، أو من عاشوا معه قبلها. لم يعرف أحد ما بداخله.

لذلك أقول لك، اترك لك سراً مع الله لا يعلمه أحد. وحين تصلى وتتذوق حلاوة الصلاة وتكون لك مع المسيح علاقة سرية خاصة، لا تُعرّف بها أحداً، ولا تُظهرها أو تتحدث عنها، بل دعها مستورة ومخفية عن الناس. لا تكشف عن سرائرك وأمورك مع الله، فتكون كمن يفتخر بما لا يملك. إجعل لك سراً مع الله تنفيذاً لوصية المسيح له المجد: "متى صليت ادخل مخدعك واغلق بابك." لا تُطْلِع أحداً على أسرارك مع الله، إذا صُمت، وإذا قدمت، وإذا قمت بعمل طيب، لا تفتخر. لأن الافتخار والمظاهر يفسدان الحياة الروحية بجملتها.

المثابرة فى الصلاة

بالنسبة للصلاة، نمتدحها جداً ونُكرم من يصلى، مثلما نطوب ونمجد البابا كيرلس رجل الصلاة. فهل نصلى؟ كم أتمنى نوال بركة التراب الذى كان يخطو عليه البابا، وهو عظيم وممجد جداً فى ضميرى وعقلى. لذا أمامى أن أمشى فى الطريق الذى أنارَهُ لى، وأرتبِط بالمسيح الذى ارتبَطَ هو به، لأن باب الصلاة مفتوح أمام الجميع. عليك بالصلاة على قدر طاقتك. فقط إبدأ العلاقة مع الله واحرص على أن تستديم. ادخل إلى عمق الصلاة بحسب ما تستطيع، فى رتبتك كما قَسَمَ لك المسيح. بقدر الإيمان الذى لك داوم على الصلاة، فيصبح لك مع الله هذا العمق،

وهذا السر، وتلك الدالة النابعة من حب خاص تجاه المسيح الذى مات من أجل أن يفديك باسمك وشخصك.

ابنى العلاقة الشخصية بينك وبين المسيح بحسب قدرتك. حسناً أن تُمجد المُثل العليا جداً فى ذهنك، ولكن لا تستصغر نفسك أمام ما وصلوا إليه، فتكف عن المحاولة فى يأس وتقول: "من يستطيع أن يصل لتلك المستويات.. أين نحن منهم؟"

حقاً هم فى قمم الجبال، ونحن فى الوادى، لكن لا تقف، لا تتعطل ولا تكترث. أعطى الله قديسيه نعمة ورفعة عالية فعلاً، ونحن بعدُّ مبتدئون فى الطريق. ولكن عليك ألا تقف ولا تسمح لشئ أن يعطل مسيرتك، فهؤلاء لم يبلغوا قمم الجبال بطائرة، بل بدأوا من أسفل، وبالمثابرة والجهاد كانوا يشقون طريقهم نحو القمة يوماً بعد يوم.

الجهاد والتغصب

يقول القديس بولس الرسول: "أَقْمَعُ جَسَدِى وَأَسْتَعْبِدُهُ"، وقد عاش البابا كيرلس حياته فى جهاد شديد جداً. لهذا لا تكن كالمستهتر الذى يقول: "ياعم فوّت.. هو ربنا هيدقق على مش عارف إيه؟" لا تستهن بالصغائر،

فطريق الاستهتار لن يصل بك إلى شئ، بينما طريق المجد محفوف بالعرق والجهاد والتعب والسهر والدموع.

بالطبع بدايات الطريق شاقة حتى يتعود الإنسان. فمثلاً بدايات طريق التوبة، حين يكف الإنسان نظره وفكره عن العالم ويكره الخطية ويزهد فى مجد العالم، صعبة جداً. جازوها الآباء بالتغصب. وبعدما غصبوا أنفسهم على صعوبات الطريق، أصبحت تلك الصعوبات لذة لهم. طبعاً أمر شاق جداً أن يستيقظ الإنسان فى الرابعة فجراً من كل يوم، لكن بعد سنوات من الجهاد، تصبح فطرة، وأمراً طبيعياً فى حياته يتلذذ ويفرح به، لأنه اقتنى الثمرة.

لا تتراجع إذا ما صادفتك صعوبات فى بداية الطريق. صعب أن أتنازل عن ذاتى أو كرامتى. صعب أن أقول "حقك علىّ". طبعاً صعب فى البداية، لأن كل منا يمجد ذاته، ويود أن يحصل على حقوقه. صعب أن أتنازل عن حقى وأنكر ذاتى وأحط من قدرى وأُفضل الآخرين على نفسى. لكن إذا تعودت ودخلت فى طريق الحياة فى المسيح، تكون طبيعية جداً ولذيذة جداً.

العطاء صعب، لأن طبيعتنا تتسم بالأنانية. بالتغصب يمكن للإنسان أن يبذل جزءاً من ذاته لأجل الآخر، أو يقدم أو يتنازل عن شئ. العطاء

صعب لكن لابد أن أتدرب، لأنه ضد الطبيعة القديمة، وأول ما أبدأ وأتمرن وأنمو وأزيد، سأجد أنه لذيذ جداً. فمغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ. لكن تلك الغبطة لن تشعر بها إلا فى الأواخر بعد جهاد طويل. فالحياة المسيحية لا تتفق مع العشوائية، ولا يصلح أن تعيش كيفما تريد، فقد وصل القديسون بالجهاد والعرق فى أتعاب وأسهار كثيرة.

الصلاة تفتح أبواب السماء

لم تكن حياة القديسين خالية من التجارب، فلم يعيشوا حياة مُنعَّمة كما لو كانوا محمولين على بساط الريح، فكم ذاقوا من أتعاب وضيقات. والبابا كيرلس كان عنده حل وحيد لجميع التجارب، وهو الصلاة. فإذا صادف الإنسان مصيبة أو مشكلة أو كارثة أو تعب، ربما يفكر فى مائة حل وحل. أما البابا فأول ما يخطر على باله وآخر ما يأتى على ذهنه، كانت الصلاة. كم من متاعب تعرض لها من أقرب الأقربين بسبب تلك الكلمة التى كان يقولها عند أى مشكلة، "صلى يا ابنى". لم يكن الناس حوله يستوعبون قيمة وأهمية الصلاة فى مواجهة المصائب والمشكلات. ولم يكن بوسعهم أن يدركوا أن أقصى ما يمكن للبابا فعله، وأعظم تصرف بالنسبة له، هو الصلاة. فقامت معارضات شديدة جداً من الأساقفة والكهنة والمعتبرين بالكنيسة وطالبوه باتخاذ مواقف، مستهزئين بإمكانياته

المتواضعة حسب نظرتهم القاصرة. لم يكن أحد يعرف سر البابا مع الصلاة التى كانت تحرك السماء، وقد تعلم الجميع والشعب فى نهاية أيامه، أن كلمة "صلى"، ليست لتطييب الخواطر أو فك المجالس، بل هى عمل قوى جداً، بل والوسيلة الوحيدة لأن الصلاة مقتدرة جداً.

أوصانى البابا أن أضع كل المشاكل على المذبح، مؤكداً أن المذبح يستطيع أن يحلها كلها بكل ثقة. المذبح بالنسبة له هو مصدر القوة لحل جميع المصاعب التى يعجز أمامها البشر. فمن يملك أن يعطى العاقر طفلاً، ومن الذى يقيم من الأموات، أو يُخرج الشياطين سوى المذبح؟ لذلك عندما كان يتمسك بالمذبح ويصلى، كانت صلاته مقتدرة. تُقابلنا الكثير من المشكلات، وأصبح الإنسان يلجأ إلى الفكر والحلول البشرية التى كثرت جداً. أما الصلاة بإيمان فقد إنحصرت وقَلّت جداً.

أخبرنى أبونا صليب سوريال الذى كانت له صلة قرابة بالبابا ودالة كبيرة عنده منذ بداية عهده بالرهبنة، أنه فى بداية عهد البابا كيرلس ضاق الحال بالأقباط جداً بعد أن توقفت تعيينات خريجى الجامعات لأكثر من عشر سنوات، حتى أصبح هناك ألوف مؤلَّفة من شباب الخريجين بلا وظائف وقد تمررت نفوسهم. يقول أبونا صليب: دخلت إلى البابا منفعلاً وهجت هياجاً شديداً، وصحت فيه "ايه بقى.. ما تعمل حاجة.. عيالك

قاعدين فى البيت، والناس هتموت" جلس البابا صامتاً ثم قال لى: "يابنى صلى"، قلت له: "ما احنا صلينا، ايه صلوا صلوا بقه.. ما انت لازم تعمل حاجة، ما تروح تيجى بتاع.. اِعمل حاجة يا أخى بقى". ولكنه أعاد ما قاله مؤكداً: "يا ابنى صلى.. من غير الصلاة مش هنعمل حاجة". تركته بعد أن تعديت اللياقة وخرجت عن حدود الأدب فى حديثى معه وانصرفت مغتاظاً وأنا أتمتم "ايه صلى دى مش هتنفع". أغلق البابا على نفسه، وإعتكف أياماً، وهو الذى كان ينزل ويتحرك. لم يمر الأسبوع إلا وصدر قراراً جمهورياً بتعيين أكثر من ثلاثين ألف قبطى فى يوم واحد. فشعر أبونا بخجل شديد جداً، فكيف له أن يواجه البابا بعد ما صدر منه. يقول أبونا ذهبت إلى البابا أُقبل قدميه، فقال لى: "يابنى خلاص بقى". وقد تعلمت كم أن الصلاة مقتدرة.

كان بابه مفتوحاً لجموع الشعب يضعون أمامه كل مشكلة، صغيرة كانت أم كبيرة. يلجأون إليه من كل مكان من أجل طلباتهم. مشكلة لطفلة صغيرة.. طفل مريض.. صلاة من أجل امتحان.. شخص عليه قضية أو مهدد بالسجن.. إنسان فى ضيقة.. محتاج أو فقير، والكثير من هموم الشعب الصغيرة جداً. كان كل منهم يعرض طلبه فى أذن البابا باختصار، فيقول له: "طب تعال أصلى لك". وكان تأثير تلك الصلاة

التى لا تستغرق أكثر من دقيقة فى حياة عائلات، عجيباً جداً. وقد أنعم الله على الناس بخير جزيل على المستوى الفردى، كل واحد فى بيته وكل واحد حسب حالته. كان هذا بكلمة واحدة يقولها، وقد بدأ الناس يدركون فى ضمائرهم أن الصلاة هى إتصال بالله، يأخذون بواسطتها ما لم يكن فى الإمكان الحصول عليه.

دالة مع مارمينا

لا أنسى يوماً كنت أقف مع البابا فى آخر صالة الإستقبال، فدخل ضابط ذو رتبة كبيرة، وتقدم نحو البابا على ركبتيه راكعاً من أول الصالة، يرفض أن يمشى غير عابئ برتبته الكبيرة. رآه البابا فقال له: "يا بنى خلاص خلاص.. مش بعت لك مارمينا، خلاص". كنت أقف لا أستوعب ما أراه. تقدم الرجل على ركبتيه وأخذ يُقبل يدى البابا وقدميه. أخذه البابا فى حضنه وربت على كتفه وقال له" يا بنى ربنا يكون معاك.. ماتخافش". انصرف الرجل فأسرعت فى إثره لأسأله عن الأمر، وقلت له هل تعرف البابا! قال لى "أنا أول مرة أشوفه". وأخبرنى أنه كان فى إسنا فى الصعيد، يعمل فى مركز مرموق، مديراً لمخازن السلاح. لفَّق له البعض قضية سلاح وذخيرة بطريقة شريرة وعجيبة جداً، تصل عقوبة التهمة التى كانت منسوبة إليه إلى السجن المشدد أو الإعدام. لم يكن

الرجل يعرف البابا، لكنه فى ضيق نفسه صرخ وقال: "يارب.. ياسيدنا.. يامارمينا". فنجاه الله من القضية من حيث لا يدرى، وأرسل الله له مَنْ شَهَد ضد الكلام الملفق تماماً. فوقفت أتعجب كيف عرفه البابا بمجرد دخوله، وهو لم يكن قد رآه فى حياته.

الاتصال بالله لذيذ وحلو. هل ترى نفسك ضعيف وخاطئ! لا تهتم، فقط عليك أن تصلى. ادخل إلى مخدعك واغلق بابك واطرح نفسك أمام الله. أنت تصلى لأبيك. صلى بإيمان.. صلى بثقة.. صلى وأنت على يقين أنك ستأخذ من الله. صدقنى سيعطيك، نحن دائماً متعجلين. تَأَنَّى فى الصلاة حتى ولو مرت سنوات. نحن نتعجل الاستجابة كمن يزرع البذور وفى اليوم التالى يطلب ثمراً. يا أخى لا تسأم الإنتظار واسمح ببعض الوقت فيه يُنَمى الله تلك البذور. كل كلمة تقولها فى الصلاة، تدخل إلى القدير. كل كلمة تقولها من فمك، تدخل حيث مقادس الله العلى ويسمعها. ثق أن طلبتك مسموعة لدى الله. وضع أمامك مَثَل البابا كيرلس المُحب جداً للمذبح والصلاة، لتدرك كم تفعل الصلاة عندما تكون بإخلاص! إنها تهز أعتاب السماء.

الصلاة من أجل الجميع

كان البابا يصلى من أجل المسيحيين وغير المسيحيين أيضاً. آلاف الناس فى الطوابير، بينهم الكثير جداً من غير المسيحيين يقفون أمامه كل يوم، فيعرفهم وهو يسلم عليهم. وعندما أسأله يقول لى: "ربنا بتاع الكل، ماهو ربنا يابنى يشرق شمسه على الأبرار والظالمين". وأذكر أنه كان عندنا كاهن كبير، وكان غيوراً تضايقه موجات الاضطهاد المتزايدة. فكان يقول للبابا كيرلس: "انت بتصلى لهم؟ هم عايشين لأنك بتصلى لهم.. كُف عن الصلاة من أجلهم". كان البابا يضحك ويقول له: "يا ابونا يوسف انت رجل طيب.. نحن نصلى للكل". كانت الصلاة بالنسبة له كل حياته. فهل ممكن لإنسان عادى يعيش وسط العالم بكل ما فيه أن يصبح إنسان صلاة؟ طبعاً، وهل تقتصر الصلاة على الرهبان والكهنة والبطاركة؟ يمكن للإنسان وسط مشغولياته اليومية أن يصلى كل حين.. وسط النهار.. وسط غير المتقدسين.. وسط العالم المملوء بالشرور. الباب مفتوح وإنجيل الليلة يقول: "اسْأَلُوا تُعْطَوْا. اطْلُبُوا تَجِدُوا. اقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ." فلتطلب يا أخى، لتدخل طلبتك إلى حضرة الله، وثق أن الصلاة لها قوة واقتدار. ولربنا المجد دائماً إلى الأبد آمين.



٦- مـواهـب الـروح

الإتضاع

نعتبر أنفسنا فعلاً منعم علينا إذ أعطانا الله أكثر مما نطلب أو نفتكر، لأننا رأينا فى جيلنا قديساً عظيماً مثل البابا كيرلس، الذى لم يأتِ فى تاريخ الكنيسة بين البطاركة المائة وخمسة عشر السابقين له من يشبهه. فى الواقع كل إنسان يتمتع بالمسيح ويعيش به، بحسب امكانياته وبحسب قلبه وبحسب إيمانه وبحسب ما نشأ عليه.

المعجزات التى عاينها الناس وتمت فى حياته أو بعد نياحته، لا حصر لها ولا عدد. فالمعجزات كانت سمة وأمراً عادياً فى حياته اليومية، غير أنها لم تكن تشغل فكره على الإطلاق. كان الناس يلجأون إليه كل يوم، فكان يفتح بابه أمام الجميع، وهذا لم يحدث فى تاريخ الكنيسة أن تقابل البطريرك دون موعد مسبق. ليس هذا فقط، بل أن زائريه كان يصل عددهم إلى ألوف كل يوم، وفى تلك المقابلات والتحيات السريعة، كانت كلمة واحدة فقط من فمه المقدس كفيلة بتغيير حياة إنسان بجملتها.

كان البابا ممتلئ من الإنجيل جداً، لكنه لم يكن يعظ. كان يعظ فيما قبل حينما كان كاهناً فى مصر القديمة، غير أنه توقف بعد أن أصبح بطريركاً. وقد كان له إيمان عجيب حقاً، أن الناس فى الكنيسة من نساء ورجال، بهم من هم أفضل منه. قال ذلك أمامى أكثر من مرة. وسألنى يوماً: "هل تتفلسف حين تعظ فتقول كلمات ثقيلة؟"، قلت له: "لا يا سيدنا لا أعرف أن أفعل ذلك"، قال لى: "كويس يابنى.. الناس اللى إنت بتوعظهم فيهم ناس أحسن مننا". وفى مرة قال للأنبا أثناسيوس أسقف بنى سويف المتنيح عندما أنهى عظته فى القداس: "أنت بتشخط وتنطر فى الناس كده ليه؟ دول فيهم ناس أحسن مننا". كان فى قمة الاتضاع، وكان قلبه عجيباً جداً نحو شعبه، فكان يشعر أن فيهم من هم أفضل منه وهو سر جميل. هذه كانت نظرته لنفسه ولشعبه مهما صغر شأنهم.

الشفافية

البابا كيرلس تميز بشفافية عالية جداً. فحين كان الناس يتقدمون للتناول فى القداسات، وبالرغم من كثرة أعدادهم، كان يفرز غير التائبين منهم، لكنه لم يكن يُعنفهم بل يحثهم على الإعتراف والتوبة. حين يتقدم أحدهم للتناول يقول له "انت بقالك أد إيه مااعترفتش؟ روح شوف كاهن تعترف عليه". وكان مكشوفاً أمامه أمر من يستحق ومن لا يستحق التناول،

لكنه لم يكن يعنف أحداً قط، بل يقول للشخص "روح توب.. روح اعترف". فكان أمر التوبة والحياة فى المسيح هو كل ما يشغله، وليس الآيات والمعجزات. ومع ذلك كان البابا يحن على أى إنسان مهما كانت طلبته.

أهمية الصلاة والمزامير

من المعروف أن أكثر من صلى فى هذا الجيل، هو البابا كيرلس، ويمدحه الناس لكونه رجل الصلاة. ونحن كثيراً ما نمجد الصلاة دون أن نصلى كما ينبغى. كثيراً ما نمدح الصلاة، وقليلاً ما نصلى، كما أن صلاتنا ليست بذات الروح. لعلها تكون فرصة فى تلك الأيام المقدسة من الصوم أن نتعلم كيف نصلى. والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن هو: هل ممكن أن يوجد فى وسطنا قديسون؟ نعم ممكن، ليس بالضرورة أن نرى معجزات، لكن الاتصال الحقيقى بالمسيح يجعل الإنسان قديساً.

كان البابا كيرلس يؤمن أن المزامير تُخيف الشياطين. وبسبب الخلافات الكثيرة التى كانت تملأ البيوت، كان إذا قصدته إحدى السيدات ليصلى من أجل مشكلة، كان يكتب مزموراً فى ورقة ويعطيه لها ويقول:" خلى ده معاكى". هكذا كان إيمانه أن المزامير تخيف الشياطين. وها هى

المزامير بين أيدينا. فعلينا أن نتمسك بها ونصليها ونعلمها لأولادنا لأنها نعمة من الله.

يعطينا الله بركة البابا كيرلس الذى يرانا الآن وفرحان بنا ويصلى من أجلنا بكل تأكيد، لأننا أولاده. نطلب من المسيح أن يقبل صلواته عنا، ويبارك فى الصغار والكبار والبيوت ويبعد عنا المشاكل والمصائب.

الليلة هى عيد رسامة أبونا كيرلس العشرين. هذه السنوات العشرون الأوائل، عقبال أربع عشرينات. ربنا يعطيه نعمة ويكمل خلاصنا. ولربنا المجد دائماً إلى الأبد آمين.



البابا كيرلس يبارك عايدة باسيلى مقار (الراهبة المتنيحة الأم أغابى أبى سيفين) وفيكتوريا باسيلى مقار (الراهبة المتنيحة الأم يوستينا أبى سيفين) وشقيقهما الأصغر الشماس اميل باسيلى مقار (حالياً الانبا ديمتريوس أسقف ملوى)



٧- الصلاة الحقيقية

لماذا التجسد

كل ما صنع الرب فى أيام تجسده، صنعه بنا ومن أجلنا. عندما اِتحد بطبيعتنا، وشابهنا فى كل شئ ما خلا الخطية وحدها، صنع كل شئ لأجلنا. تجسد ونزل من السماء تاركاً المجد، وقَبِلَ أن يوجد فى الهيئة كإنسان، من أجلى. صُلب واحتمل العار مستهيناً بالخزى، من أجلى. صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة وجُرب من إبليس جميع التجارب، من أجل أن يرفع عنى نير العدو الشرير. وحينما كسر الشيطان وأذله وطرده، كان ذلك ليعطينى النصرة، والقدرة بالمسيح يسوع أن أغلب قواته. لأن قدرة الإنسان تتضاءل جداً فى مواجهة الشيطان، حيث أن لهما طبيعتان مختلفتان، الشيطان كرئيس ملائكة بكل جنوده، قوة رهيبة جداً، بينما الإنسان مخلوق ترابى ضعيف. لهذا لم يفلت إنسان قط من حروب الشياطين ومن السقوط. وحينما صار المسيح إنساناً وقهر الشيطان كإنسان، أعطانى هذا السلاح أن أنتصر بالمسيح يسوع. أعطانا السلطان أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو، وقال للرسل الأطهار: "اشْفُوا

مَرْضَى. طَهِّرُوا بُرْصاً. أَقِيمُوا مَوْتَى. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ". فهذا العدو قد انتهى بالمسيح يسوع الذى أذله وأخضعه. لذلك فإن تجربة المسيح على الجبل قدمت لى أنا الإنسان الضعيف الترابى هذه النعمة الكبيرة، أن أستطيع بنعمة المسيح أن أهزم عدو الخير. "هَذِهِ هِى الْغَلَبَةُ الَّتِى نَغْلِبُ بها الْعَالَمَ: إِيمَانُنَا."

الغلبة بالمسيح

ونحن نحتفل بعيد البابا كيرلس، رأينا وسمعنا تفاصيل عن عمل الله فى حياته، ومعجزات كثيرة تحتاج إلى كُتُب ومجلدات. لكننا نستدل من حياته على أنه حقاً كان ذا بأس وقدرة على الشيطان، بسبب إتصاله الحقيقى بالسيد المسيح. وبالرغم من تفرد البابا كيرلس فيما بلغ من القداسة، مقارنة بحالتنا المتواضعة جداً، إلا أن المنهج واحد. فيمكنك أن تغلب الشيطان، إذا تمسكت بالمسيح وعشت به حياة حقيقية، واتصلت به اتصالاً حقيقياً. مهما كان بحياتك من تجارب وضيقات كثيرة، ومهما زادت عليك الآلام والمقاومات، فلست وحدك. جميع القديسين لم تخلُ حياتهم من التجارب. والحل الوحيد هو أن تتمسك بالله بإخلاص وتصلى بحق، لتُحسب صلاتك صلاة حقيقية ويكون اتصالك بالله اتصالاً حقيقياً.

قوة المذبح

كشفت حياة البابا كيرلس عن أن اتصاله بالله كان حقيقياً. وقد شعر بقوة المسيح التى فى المذبح حين اقترب إلى الله وعرف المذبح فى شبابه المبكر. لذلك كان يتقدم إلى المذبح بكل مشاعره، وهو يدرك أن فى المذبح حل لجميع المشاكل والضيقات. قال لى فى الأيام الأولى لرسامتى: "لا تلتجئ لإنسان.. التجئ لله، يا بنى المذبح فيه حل لكل مشكلة، اطرحها على المذبح". رأيته ذات مرة مع كاهن أخطأ، فاستاء البابا منه وغضب عليه، ثم قال لى عبارة لن أنساها: "يا بنى المذبح اللى بيخدمه يتصرف فيه". إذ أدرك قوة الله التى فى المذبح.

قابل البابا الكثير من المشاكل فى حياته رغم أن فترة حبريته كانت عشر سنوات وشهور قلائل فقط، لكنه عانى فيها من مشاكل ومضايقات وتجارب كثيرة جداً. أخذ حلولاً لجميعها من المذبح. المذبح أمامنا جميعاً، "أَلْقِ عَلَى الرَّبِّ هَمَّكَ فَهُوَ يَعُولُكَ". لنا نعمة الدخول إلى الكنيسة والتطلع إلى المذبح، فضع طلبتك وتضرعك كل يوم عليه، وثق تماماً أن المذبح الذى يحمل جسد المسيح الإله ودمه، فيه القدرة الإلهية التى تستطيع أن تسند كل منا مدى الحياة.

الصلاة الحقيقية

ارتبط البابا بمخدع الصلاة، فأطلقوا عليه رجل الصلاة، وصارت نصف لغته مأخوذة من المزامير. فكما أن لغتك تظهرك، كانت لغته تظهره كرجل الصلاة. لم يكن رجل الصلاة فى وقت الصلاة فقط، بل مع الناس فى كل وقت وكل حديث. من يسأله طِلبة، يُجيبه بمزمور، من يطلب منه صلاة، يقرأ على رأسه مزموراً. أليست المزامير معنا، وكل منا له أجبية، ويحفظ مزموراً أو أكثر! لكن الدخول الحقيقى للصلاة مختلف.

قيل عن أحد الآباء فى بستان الرهبان أنه كان بمجرد أن يرفع عينيه إلى السماء، روحه كلها تكون فى السماء. فى المقابل قد نرى من يسرح أثناء الصلاة، ولا يمانع من الرد على شخص يتكلم، لكن هذا أبعد ما يكون عن الصلاة. يُحكى عن الأب "فرنسيس الأسيزى" الكاثوليكى، أن كان له تلميذ من الرهبان اسمه "برناردينو". فبينما كان فى البرية واقفاً يصلى، ناداه تلميذه مرة واثنتين فلم يُجبهُ، فعاد حزيناً. وحين قابله فيما بعد، سأله "لماذا لم تجبنى عندما ناديتك؟" فرد الأب وقال: "لقد كنت أحدثه! فكيف لى أن أجيبك؟".

حين يتصل الإنسان بالله، تُغْلَق كل حواسه عن العالم المحيط به، لأنه يتحدث مع الله. لم نتعلم بعد كيف نصلى وكيف ندخل إلى الله. عندما

نصلى، كثيراً ما يتشتت الذهن ونسرح ونصاب بالملل، نفقد التركيز ولا نعى ما نقول أو فى أى مزمور نصلى. لم ندخل بعد إلى الصلاة الحقيقية، التى يقول عنها القديس يوحنا فم الذهب: "إن الصلاة الحقيقية هى رفع القلب والفكر إلى الله". أى أنه حينما يرتفع قلبك إلى الله، وينحصر فكرك فيه، تكون فى حالة صلاة حقيقية. وفى هذه الأيام، كثيراً ما ينشغل الناس بأمور تخرج عن نطاق الصلاة فى الكنيسة، فترى شماساً أو كاهناً يجرى فى الهيكل أثناء القداس، وآخر ينشغل بحديث أو التقاط الصور فى المناسبات. كل هذه الأمور ليس لها علاقة بالصلاة. ومن المحزن أن نرى الكثيرين لا يدركون حقيقة وجود المسيح على المذبح، فيطيش فكرهم لأنهم لا ينظرونه بعيونهم الجسدانية، وإلا لكان الأمر اختلف.

كانت الكلمة التى يتفوه بها البابا كيرلس مسنودة من السماء، والطِلبة التى يطلبها مستجابة، لأنه رجل صلاة. كان يعرف كيف يدخل إلى محضر الله، ويدرك أصول الوقوف بين يديه. شأنه فى ذلك، كشأن كبار السياسيين المتمرسين على الدخول إلى رئيس الدولة، الذين يعرفون قواعد البروتوكول وأصول الحديث، وعلى دراية بما يليق فعله وقوله فى حضرة رؤساء وملوك الأرض. هكذا كان الحال مع البابا كيرلس الذى

عاش حياة الصلاة وصار متمرساً على الدخول إلى الله والوجود فى حضرته.

أدرك البابا أن المذبح والهيكل يمتلئان بالقوات السمائية، وكان يشعر حقاً بحضور الله فى البيعة وحضور المسيح على المذبح. فكان يدخل الكنيسة بمهابة لم تفارقه رغم الوجود بها لسنوات طويلة تقترب من الستين عاماً، يقضى فيها معظم يومه نهاراً وليلاً من الرابعة فجراً، فى صلوات متواترة حتى منتصف الليل. لكن احترام الكنيسة ومهابة الهيكل، ومخافة المذبح ظلت كما هى حتى اليوم الأخير. كان البابا يرى ويدرك، بينما الآخرون كانوا كالعميان، لهم عيون ولا يبصرون. لو يرى الإنسان تلك الأمور جسدياً سيتغير، لكنها أمور لا يمكن إدراكها بالجسد. عاشها البابا بالحق، فكان يتقرب من الأسرار بكل مشاعره وبكل مخافة وتقديس. لم يتسرب الروتين إلى حياته، فكل شئ فى الوجود يتقادم ويُستهلك، عدا الله. يظل الكل جديداً فى ذهن الإنسان الروحى الحقيقى، لا تتغير مشاعره تجاه الهيكل والكنيسة والإنجيل، ولا تفتر مخافة الله فى قلبه.

الصلاة مقتدرة

نحن نمتدح البابا كيرلس رجل الصلاة ونعرف قدرة الصلاة وقوتها، لأن إقتدار الصلاة شئ معلوم، كما هو مكتوب: "كَانَ إِيلِيَّا إِنْسَاناً تَحْتَ الآلاَمِ

مِثْلَنَا، وَصَلَّى صَلاَةً أَنْ لاَ تُمْطِرَ، فَلَمْ تُمْطِرْ عَلَى الأَرْضِ ثَلاَثَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ." هذه هى الصلاة كما اختبرها البابا كيرلس. عاش البابا اقتدار الصلاة، ليس لأن الله خلقه متميزاً عن الآخرين، بل لأنه عاش وصايا المسيح "فِى أَنَّهُ يَنْبَغِى أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلاَ يُمَلَّ". فآمن بأن "كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ وَكُلَّ مَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ وَكُلَّ مَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ."

لابد من مراجعة للنفس لأننا لم نتعلم بعد كيفية الاقتراب إلى الله. راجع ما مضى من سنوات عشتها بالكنيسة دون تغيير، حتى أصبح التناول من جسد الرب ودمه كما لقوم عادة بلا تأثير، والأصوام ليست إلا تغيير نوع الطعام، أما الصلاة فهى لا تعدو عن أن تكون حضوراً بالكنيسة. الحياة الحقيقية فى المسيح تُحدِثُ تغييراً فى الأخلاق. فلا يتفق أن أكون دائم الغضب ودائم الحضور للكنيسة. ولا يصح أن أكون دائم الحضور للكنيسة دون تغيير، والقلب يحمل ضغينة وعدم قدرة على السماح. لا يصلح أن أخاصم وأكون دائم الحضور للكنيسة.

أمر محير! كيف يُجيز الإنسان الخلط بين النور والظلمة فى ذات الوقت! كيف له أن يجمع بين طريق المسيح وطريقة الحياة فى العالم! كيف أصلى كمسيحى، وفى وقت آخر أسلك كأهل العالم! كيف لأفراحنا أن يتخللها شُرب وسُكْر ورقص! كيف نكون مسيحيين إذاً! فى القديم تقدم

إيليا إلى جميع الشعب وقال: "حَتَّى مَتَى تَعْرُجُونَ بَيْنَ الْفِرْقَتَيْنِ؟ إِنْ كَانَ الرَّبُّ هُوَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوهُ، وَإِنْ كَانَ الْبَعْلُ فَاتَّبِعُوهُ".

الخط المستقيم الواضح فى حياتنا أصبح ضعيفاً بسبب عدم الصلاة. وعلى الرغم من امتلاء الكنائس، وازدياد الأنشطة والمؤتمرات، والعظات المسموعة فى كل يوم وكل وقت، إلا أن الأخلاق أصبحت متردية، والعادات كما هى وإلى أسوأ. لا يكفى أن نمجد القديسين الذين نحبهم وننبهر بحلاوة عشرتهم مع المسيح، بل علينا أن نكون قديسين. لكن الحقيقة أننا نحب الجانب الظاهر من حياة القديسين، وهو عمل المعجزات والآيات، وكأن الحياة الروحية تنحصر فى إقامة الموتى وشفاء المرضى وإخراج الشياطين، وهذا ليس صحيحاً. الحياة الروحية اتحاد والتصاق حقيقى بالله، حياة شعارها "لِيَ الحَيَاةَ هِيَ المَسِيحُ". يمتد تأثيرها إلى خارج أسوار الكنيسة، فى البيت والعمل والشارع والمشكلات. فى كل مكان حياتى هى المسيح، وفكرى هو المسيح. لذلك أصبح البابا كيرلس قديساً عظيماً، لأنه كان متصلاً بالله، وظل متصلاً بالله اتصالاً حقيقياً كل يوم وكل ساعة على مدى الحياة. بركته تكون معنا، ويشفع فينا وفى أولادنا وكنائسنا. يعطينا الرب نعمة بسبب شفاعته فينا. ولربنا المجد دائماً إلى الأبد آمين.



٨- صـداقـة القديسـين

صداقة مارمينا

الشهيد العظيم مارمينا العجايبى من أحب الشهداء لشعبنا القبطى. عشرات الآلاف من المعجزات فى كل مكان، مع جميع صنوف البشر، تمت بشفاعته فى هذا الجيل الذى حاز على نعمة رؤية قديسين. ومن المعروف أن سيرة وحياة وشفاعة ومحبة مارمينا العجايبى تسلمها الشعب القبطى فى جيلنا من البابا كيرلس، بعد أن لمسوا المحبة الحقيقية التى ربطته بمارمينا.

تعلق البابا كيرلس باسم مارمينا، واتخذه شفيعاً له منذ حداثة عهده بالرهبنة. وقد خَلَّصَه مارمينا من ضيقات كثيرة مر بها فى حياته، فما كان من البابا إلا وقام بتشييد كنيسة على إسمه فى فم الخليج. وكان يشترك مع البنائين فى أعمال البناء. وبالرغم من ضآلة الموارد المالية التى كان يتحصل عليها للبناء، إلا أن الله بارك وتمم العمل ببركة كبيرة.

حينما نتأمل حياة مارمينا الشاب الطاهر، نحبه ونحب سلوكه الجميل ونتوق لأن نكون مثله. كان مقدساً، غير راغب فى العالم بكل مجده، رغم أنه كان ضابطاً بالجيش له شأن كبير. مارمينا هو مثال واقعى حقيقى لإنسان رمى العالم وداس كل مجده. هذا المثال يوجب على الإنسان أن يقول: "بالرغم من أنى مغروس فى العالم، لكن قلبى ليس فى العالم."

وشهادة مارمينا للمسيح حتى الموت لا يعادلها شهادة، فهى شهادة حتى الدم تؤكد الصدق المطلق للحب، بأن يموت إنسان من أجل محبته للمسيح. لذلك نطلب شفاعة مارمينا، ليسند تقصيرنا فى الصلاة، وضعفنا أمام العالم بكثرة اهتماماته. من مديح ومجد الناس، والكلام الزائف، ومحبة المال، والمراكز. كان مارمينا شاباً صغيراً فى مُقتبل العمر موصوفاً بشجاعة وقوة عجيبة. نبذ مجد الناس ومحبة العالم من قلبه. كان فى إمكانه أن يصير والياً ورئيساً على البلاد، لكنه فضل أن يختلى فى البرية ويعيش حياة الصوم والصلاة والنسك.

يا لِكَم البركات التى حازها هذا الجيل! أن يُدعى اسم مينا على ملايين الأطفال بسبب حُب الشعب الشديد له. لم يكن اسم مارمينا قبل البابا كيرلس، اسماً مشهوراً بين الأقباط. وكان عدد الكنائس التى على اسمه

قليلاً جداً، منها كنيسة فى أول شبرا، وأخرى فى المنيا. لم يقم البابا كيرلس بالإعلان عن مارمينا، لكن الناس رأوا فى حياته معنى الاتصال الحقيقى بالقديسين والحياة معهم.

صداقة مارمرقس

أما مارمرقس الرسول فقد كان البابا يُكِنُ له محبة خاصة جداً، وقد تعلق به تعلقاً شديداً بعد أن أراد الله وأصبح خليفة له، وجلس على كرسيه. قابل البابا فى سنين حبريته، التى لم تزد عن إحدى عشر عاماً، ضيقات كثيرة من داخل ومن خارج، لكن بسبب تمسكه بالقديسين تمسُكاً حقيقياً، نجاه الله من جميع المؤامرات سواء فى داخل الكنيسة أو خارجها. وكان أن اشتكى عليه الناس كثيراً فى بدايته، وقالوا عليه بأنه رجل طيب غلبان لا يصلح للإدارة. وقام عليه كبار الأقباط قالوا: "لقد نُكبنا فى هذا الرجل، ووجوده يُعد كارثة على الكنيسة". ثم أرادوا عزله عن البابوية، مدعين أن الكنيسة فى حاجة لمن يديرها بهمة ونشاط، بعد أن خاب أملهم فيه كشخص يرضى عقولهم. والحقيقة أن البابا كيرلس لم يكن يفعل شيئاً سوى الصلاة. كان يستيقظ فى الرابعة فجراً ليصلى التسبحة فى الكنيسة بمفرده، ثم يصلى القداس ثم عشية. وفى اليوم التالى تسبحة، قداس، عشية وهكذا.

كانت تلك الأحوال من البطريرك محل رفض من المتذمرين، لأن المطران فى تلك الآونة كان إذا دخل إلى الكنيسة، يحظى بمكانة عظيمة، ويتم إستقباله استقبالاً حافلاً بزفة كبيرة فى العيد. أما البابا كيرلس فكان بالكنيسة ليلاً ونهاراً وفجراً. صدقونى لقد رأيته يصلى التسبحة بمفرده ولم يكن معه أى إنسان من الشعب، حتى تلميذه كان ينزل بعده بوقت. العلمانيون والمطارنة استاءوا ولم يعجبهم شكله وطريقة حياته وتدبيره للكنيسة فى البداية. قال لى البابا ذات مرة أثناء دخولنا الكنيسة: "يا بنى المطارنة بيقولوا لى إنت قليت قيمتنا!" لأن المطران كان يدخل بقيمة كبيرة، بينما البابا كيرلس كان يدخل ليصلى كفقير بردائه البسيط والشال، ولم يكن يملك صوتاً جميلاً رناناً، فكان يصلى بانكسار وصوت خفيض لم يَسُر الناس.

وفى مثل هذا اليوم، سافر وفد من مصر لاستلام ذخيرة جسد مارمرقس وإستحضاره من ڤينيسيا، مصحوباً بشهادة رسمية تفيد أنه جزء من الأنبوبة الحقيقية لرفات كاروز ديارنا المصرية. كان يرأس الوفد الأنبا مرقس مطران أبوتيج، وكان بصحبته عدد من الأساقفة والكهنة والعلمانيين. قام البابا بولس السادس بتسليم الرفات إلى الوفد القبطى وقال لهم: "كنت أتمنى أن أرى البابا كيرلس، أرجوكم اطلبوا منه أن

يصلى من أجلى"، ثم أردف، "أنا أعلم أن هذا الرجل قديس، فاحملوا له رسالتى بأن يصلى لى". فكان هذا الكلام يُعد أمراً جللاً لصدوره من بطريرك الكاثوليك. وقد وافق استلام رفات مارمرقس، عيد تكريس كنيسة مارمينا، وهو الأمر الذى لم يكن مُعداً أو مرتباً له من قبل، بل أن تحديد الموعد كان بناءً على ما كان متاحاً من مواعيد عند البابا بولس السادس، حيث أن جدول مواعيده كان صعباً ومزدحماً للغاية.

لذلك نحن محظوظون فعلاً إذ سمح الله لنا أن نرى كل تلك النعم، وندرك أن السماء والقديسين حقيقة، عندما نتشفع بهم ننال نعمة وسنداً حقيقياً. نحن نطلب من أجل الحياة الأرضية الجسدية التى نعيشها كل يوم، فى كل ضيقة، فى كل مشكلة، فى كل مرض، فى كل امتحان، نطلب، وليس من الخطأ أن نطلب، فالكنيسة تطلب من أجل المرضى والراقدين والذين قدموا القرابين ومن أجل أهوية السماء، ومن أجل ثمرات الأرض ومن أجل مياه النيل، الكنيسة تطلب من أجل كل تلك الأشياء الزمنية، وكأنها مسئولة عنها. حينما كانت مياه النيل تنحصر وتقل جداً، كانوا يلجأون للكنيسة، فكان البطريرك يصلى قداساً على ضفاف النيل، ثم يلقى مياه أوانى المذبح فى النيل. وفى مرات كثيرة كان الناس ينظرون مياه النيل وهى تفور. فنحن نطلب، وكل منا فى حياته الخاصة يطلب،

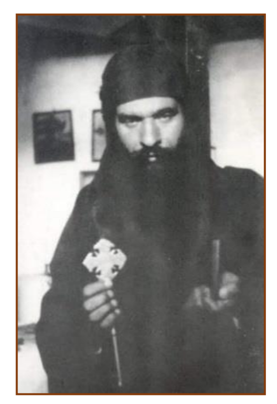
وسيأخذ بالتأكيد نعمة ومعونة. لكن الدافع الأعظم هو أن يتعلق الإنسان حقاً بالسماء والسمائيين.

وصل البابا كيرلس إلى تلك القامة الروحية العالية بسبب ارتباطه بالقديسين ارتباطاً حقيقياً. حين كان يسافر إلى دير مارمينا من القاهرة، ورغم أنه من السهل اختصار الطريق إلى الدير من القاهرة، لكنه كان يقول: "لا يابنى نروح الأول عند مارمرقس فى إسكندرية عشان عيب مارمرقس يزعل"، فلا يصح أن يكون فى المنطقة ولا يمر على مارمرقس. لم يكن الأمر بالنسبة له مجرد زيارة الكنيسة المرقسية التى بها رفات مارمرقس، بل كان وجود مارمرقس بالنسبة له وجوداً حقيقياً. لذلك لم يكن يمانع فى إطالة المسافة ومدة السفر ليمر على مارمرقس، ويسجد قدام الهيكل، ويعمل له تمجيد، ثم يذهب فى طريقه إلى مارمينا. هذا الارتباط لم يكن ارتباطاً عقلانى، لكنه وجود وحب حقيقى.

كان يمسك بعصا الرعاية المصنوعة من العاج، وكان محفوراً عليها صورة مارمرقس من ناحية، والناحية الثانية صورة البابا كيرلس. وذات مرة أشار إلى العصا وسألنى: "من هذا؟" قلت له: "هذا مارمرقس". ثم أدار العصا وسألنى:" ومن هذا؟" قلت له: "هذا هو الجالس على كرسى مارمرقس". فكان يضحك ببساطة مثل الأطفال، لأنه كان بسيط القلب.

وكلما يرتبط الإنسان بالسمائيين، كلما يأخذ من طبعهم، لأن الأصدقاء يتشابهون. فمن يصادق القديسين، يتشبه بهم ويأخذ من فضائلهم. لذلك صار قلبه بسيطاً جداً وحكيماً جداً. وهى موازنة غريبة أن يصبح بسيطاً بساطة الأطفال، وحكيماً ومهوباً جداً فى ذات الوقت.

لذلك نشكر الله أننا عاصرنا ورأينا وتمتعنا بالبابا كيرلس. ويتحتم علينا أن نعمل ليكون لنا ثمر ولا نكتفى بتلك الحكايات للتسلية. ينبغى أن نحب السماء والقديسين. نرتبط بهم، نصلى كثيراً ونقدس انفسنا. فنحن أولاد القديسين، من عائلة القديسين، وعلينا أن نقترب منهم ونكره الخطية. لا يتفق مع حياتنا أن نكذب مثلاً، أو نغتاب أو نكره بعضنا بعضاً. يجب أن نعيش حياة تليق بمن يحب القديسين، ويتمنى أن يصل مثلهم إلى السماء. ربنا يعطينا بركتهم ويكمل خلاصنا. ولربنا المجد دائماً إلى الأبد آمين.



الراهب القس مينا البراموسى عندما
كان متوحداً فى طاحونة الهواء
بجبل المقطم ١٩٣٦ ـ ١٩٤١



٩- طـريق الاتـضــاع

من نِعم الله على الكنيسة أنه لا يخلو جيل من الأجيال من وجود شهود كثيرين يرسلهم الله، لكى يرى فيهم الناس كمال المسيح. ومن النادر أن تجد من بين هؤلاء أحد رجال الكهنوت، فالأغلبية العظمى منهم علمانيون، لأن الحياة فى المسيح أسهل بالنسبة لهم، بينما يوجد فى الكهنوت فخاخ كثيرة. فما أسهل أن يعيش الإنسان العلمانى للمسيح، إذا صلى أو صام أو عمل أعمال، لا يراه أحد. لذلك فإن الكثير جداً من العلمانيين سبقوا رجال الكهنوت.

هذا لا يُقلل من كرامة الكهنوت، لكن فى العصور الحديثة، حين يرسل الله شاهداً من طغمة الكهنوت ليشهد للمسيح بالكمال، فإنه يسطع كالنور الشديد. طبعاً رتبة البطريرك رتبة كبيرة جداً، يتطلع إليه الناس جميعاً، وهو مُعَرّض لحروب كثيرة وكبيرة جداً. لذلك يقول القديس يوحنا فم الذهب: "عجبى على رئيس يخلص". فهو يتعجب جداً إذا كان فى الإمكان لرئيس أن يخلص.

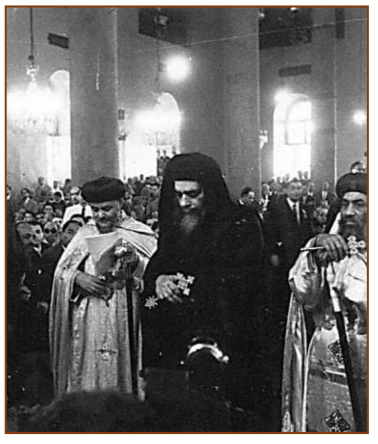
أما البابا كيرلس فقد حُفِظَ، لأنه عاش كراهب فقير جداً كما كان، حتى بعد سيامته وتجليسه بطريركاً على الكرسى المرقسى. ظل يعيش كما كان، بل زاد فى نسكه. ظل طقسه اليومى رغم المسئوليات الخطيرة جداً، كما هو. ينزل يومياً إلى الكنيسة فى الرابعة فجراً وحده دون شعب. كان يمارس الأصوام القاسية، ولا ينظره إنسان حين يتناول طعاماً بسيطاً جداً فى قلايته. الصلوات التى صلاها من أعماق نفسه وقلبه على مدى السنوات الطويلة، لم يُفسدها الروتين الذى هو أخطر ما يصيب الذين يداومون على العبادة. لأن الإنسان إذا اعتاد كثرة الصلاة والدخول إلى الكنيسة، تجده بعد فترة يقوم بهذا وكأنه آلة. فيدخل القداس ويخرج بلا عزاء. لكن البابا كيرلس حفظ نفسه من فخ الروتين الكبير، وكان يصلى جميع القداسات بكل مشاعره، ويسكب نفسه أمام الله سكيباً.

رفض البابا كيرلس ما يمنحه الناس من كرامة، رغم أن الكرامة أحاطت به بكل أنواعها، فرفضها من داخل نفسه رفضاً قاطعاً. وبعد أن خضع رئيس الدولة "عبد الناصر"، الذى كان مهوباً أمام العالم، لمحبة البابا، وقال له "انت من دلوقتى أبويا"، وكان يدعوه "والدنا"، رآه تلميذه فى القلاية يُبكت نفسه ويقول "كبرت وبقيت بطرك وبيمدحوك؟". لذلك نجاه

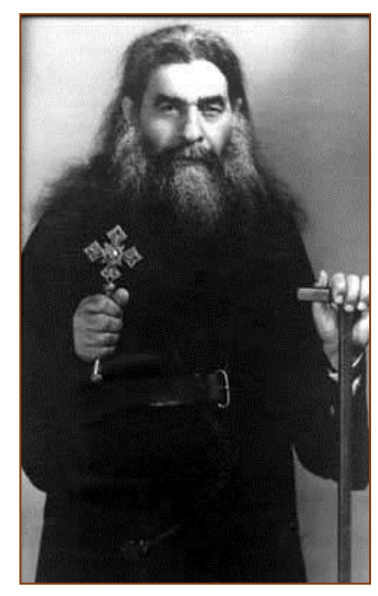
الله وظل يعيش فى القداسة مدى الحياة. أصبح مقدساً، جسداً ونفساً وعقلاً وروحاً، حتى ملابسه وكل ما له صار مقدساً.

يرسل الله القديسين ليرى فيهم أولاده ملامح الطريق. يرون طريق الاتضاع حتى النهاية، حين لا يحسب القديس نفسه شيئاً. ويتعلمون طريق الحرص، بأن يحفظ الإنسان نفسه فى القداسة، ويجاهد فى المواظبة على الصلاة. ليس صعباً أن نعيش حياة القداسة ونصل إلى السماء. فقد جاء المسيح مخلصنا لأجل ذلك وعلينا أن نلتصق بوصاياه. الله لا يترك كنيسته أبداً ولنا فى كل جيل فى الكنيسة قرن خلاص، نشكر الله أننا رأينا وعلى النعمة التى أعطاها لنا.

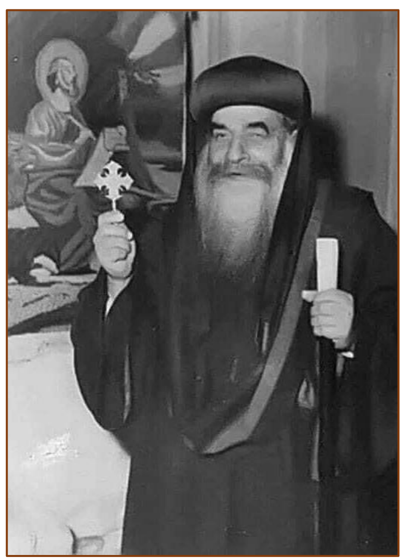
اليوم أكمل أبونا كيرلس تسعة عشر عاماً، ربنا يكافئه على خدمته ويكمل عمله معه. ولربنا المجد دائماً إلى الأبد آمين.



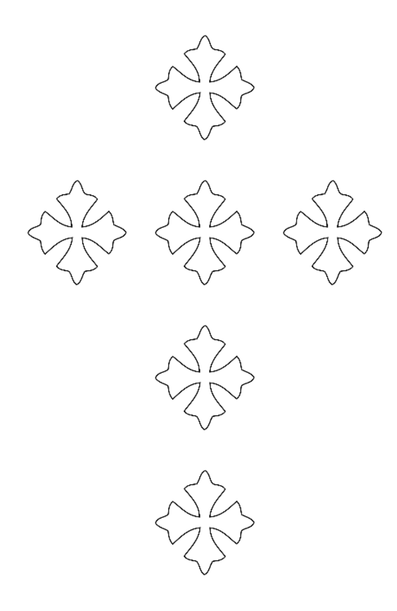
أثناء طقس سيامة البابا كيرلس السادس يوم الأحد ١٠ مايو ١٩٥٩











"مَن مثلك بين الآلهة يارب؟ مَن مِثلك مُعتزاً فى القداسة،

مَخوفاً بالتسابيح، صانعاً عجائب؟" خروج ١٥: ١١





ليس صعباً أن نعيش حياة القداسة ونصل إلى السماء، فقد جاء المسيح مخلصنا لأجل هذا. لذلك يرسل الله القديسين ليرى فيهم أولاده ملامح الطريق. ومن نعم الله على الكنيسة أنه لا يخلو جيل من الأجيال من وجود شهود كثيرين يرسلهم الله كي يرى فيهم الناس كمال المسيح. وحين يرسل الله شاهداً من طغمة الكهنوت ليشهد للمسيح بالكمال، فإنه يسطع كالنور الشديد.

القمص لوقا سيداروس